ياسر خلف الدغماني





وَذَكِّر

وَذَكِّر

ياسر خلف الدغماني



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



الطبعة الأولى: حزيران/يونيو 2017 م - 1438 هـ

ردمك: 978-614-02-3284-6

توزيــع



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1–961+)
ص.ب: 13–5574 شوران – بيروت 2050–1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1–961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت – هاتف 785107 (1–961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت – هاتف 786233 (1–961+)

إهداء

أهدي هذا الكتاب إليك

وأدعو الله أن يساعدك كتاب (وَذَكِّرْ) في أن تصبح إنساناً أفضل وأرقى في تطوير ذاتك، ومن ثم في تأثيرك إيجاباً في مجتمعك.

مقدمة

صلّوا على من علمنا، ويأمل منّا أن نعمل على تغيير أنفسنا إلى الأفضل، وأن نطبق ما قال لنا على أرض الواقع، لنرتقي في الفكر – الحب – الوفاء – العمل – الحوار – العطاء – الذات، ولنصبح بإذن الله نموذجاً لإنسان رائع يُقتدى به. ولابد أن نذكر أننا في حاجة للأخلاق والعقول الناضجة لنرتقي في كل شيء، وأن نعمل على محاسبة أنفسنا. ولكل فرد منا مسؤوليته الكاملة عن أفعاله وطريقة تفكيره، ومن واجبي تذكيرك وإثارة أفكارك ومشاعرك لننهض معاً وكلٌّ يبدأ بنفسه.

إن ما يميز الإنسان عن الكائنات الأخرى هو العقل، لذلك فهو المقياس الذي تحكم به على الأشياء وعلى سلوكنا وعلى القيم جميعاً. وإن أساس الحكم على الأفعال والسلوكيات وإضفاء طابع أخلاقي عليها هو العقل، وعليه أعتبره المصدر لكل قيمة خلقية.

كلنا نعلم ونرى إلى أين وصلنا في المستوى الأخلاقي – الفكري أو حتى العملي. «لست متشائماً» ولكني بدأت أكتب أول حروفي في هذا الكتاب ليكون رسالة تذكير واضحة لـ 28 موضوعاً ولنراجع بها أنا وأنت أنفسنا. وقبل أن تقرأ الكتاب تذكر أنك مسلم لترتقي.. قبل أن تلاقي رب العالمين.

1

التفكُّر عبادة وتنمية للعقل البشري

إن من أولى ملاحظاتي هذه العبادة المُهملة والتي تعني لمن عمل بها واستشعرها الكثير. فالتفكر في ما حولك، سواء أكان في آيات الله أو في نفسك والأحداث التي تمر بها، يعلّم يقيناً بأننا لن نتصالح مع أنفسنا ولن نتطور إلا في التفكُّر. قال تعالى: **{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ}**.

ماذا يعني التفكر؟

التفكر هو عملية عقلية تستخدم المنطق. وقيل هو دراسة الأشياء وتحليلها، ومن ثم ربطها بالحقائق الموضوعية بما يتناسب مع العقل والمنطق.

التفكر فطرة أودعها الله في الإنسان، فالعديد من الاكتشافات العلمية جاءت نتيجة التفكر في الكون وما يحتويه. وقد ترى من حولك كثيراً من الأحداث باختلاف الوقت والمكان حيث أصبحنا في تسارع نعيشه وكأننا في دوامة؛ غاب الفكر فأصبح الكلام أسرع من الصوت.

كيف نعمل على إحياء عبادة التفكر؟

دعا الله عزّ وجلّ عباده للتفكر في هذه الحياة، ومنها الأنفس والآفاق التي يسرها لهم حتى يدركوا حقيقة عظمة الخالق فيوحدوه، وصدق رسالة نبيه عليه السلام فيتبعوه، ويعمدوا لعمارة

الأرض من خلال ترسيخ الإيمان وتطوير المعرفة. يجب إعادة النظر في مفهوم التفكر ومعاني الأشياء بهدف معرفة الحقيقة حيث يهتدي العبد لمعرفة خالقه حق المعرفة، بالآيات والسنن الكونية التي أودعها الخالق في نفس مخلوقه، وفي ما يحيط به..

قال تعالى: {**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**}.

عندما تتفكر تؤمن وترى أن كل شيء برحمة الله وبقدرته سيتحقق. إنه الشعور الذي لازمني ولم أتعلّمه، بل هو فضل من الله، كان ولا يزال أروع شعور بالدنيا؛ تتفكر في أمور كثيرة، وتجدك أخطأت في حق نفسك، وأحياناً في حق والديك وأهلك و.. و.. إلخ. لا تنزعج من بعض الجهلة للنظرة الدونية لك، بل صدق وآمن بعدها أكثر بأن لله في خلقه شؤوناً، وكيف لا يرى هذا الإنسان نفسه أنه بنعمة كبيرة قد منّها الله عليه.. تفكر في كل شيء حولك، واسأل نفسك: ماذا فعلت بنفسي وإلى أين أتجه؟!

التفكر هو حياة لمن لا يشعر بلذة الحياة

تتأمل وتتفكر في ما حولك، سواء من تصرفات شخصية، أو مواقف تحدث، أو أشياء تقع أمام ناظريك. ثم تبدأ بطرح الأسئلة، وتدرك بعدها أن هذه الحياة، رغم تنوعها وتقلباتها، تتأثر بها بطرق غير مباشرة، ولو سلّمت نفسك وعقلك لسرت مع التيار في أي اتجاه كان. ولا تنسَ أن لكل شيء سبباً.. ما تفعله اليوم سوف ينعكس عليك إما بالإيجاب وإما بالسلب. تتفكر أحياناً وعلى سبيل المثال في أناس يقومون بأداء واجباتهم الدينية والدنيوية على أحسن حال، وترى النور في وجوههم، بينما تجدك مسرعاً ترغب في أن تلحق بالقطار لتصل فقط، ولكن عندما تصل ماذا سيكون في جعبتك من أعمال تقدمها؟ قد يكون لا شيء، وبالتالي فإن وصولك إلى المكان لا قيمة له.. هذه هي الحياة؛ قطار يمشي ويتوقف عند كل محطة، وكل محطة تعطيك فرصة للانطلاق من جديد، وفي كل مرة تفشل سوف ترى نفسك أمام المحطة الأخيرة في حياتك ولن تستطيع الرجوع لتبدأ من جديد.

اصنع معروفاً أو قدّم خدمة للناس، فأنت لم تُخلق لتلعب وتنام فقط، بل لتعبد الله وتشعر، ومن ثم تشكر وتتعلم لتعمل عملاً يحتاج إلى ضميرك الإنساني، لتقدمه بابتسامة ورضا. قال أبو سليمان الداراني: إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله فيه نعمة ولي فيه عبرة.

تفكر في من سبقوك من أمم أو أشخاص، أين هم الآن؟ وماذا قدموا في الحياة؟ صدقني، ستجد أنك قد أضعت كثيراً من الوقت في الابتعاد عن هدفك الأسمى.. إن أجمل شيء مباشر تشعر فيه بالارتياح، عندما تقدم خدمة لشخص أو لمجموعة أشخاص، ستشعر بعدها بشعور رائع جداً ولو كان بسيطاً. قيل لي ذات يوم: لا تدري يا ياسر ماذا تفعل الابتسامة مثلاً في الطرف المقابل وقد عدها رسولنا الكريم صدقة.. لم أرَ نفسي ناصحاً ولا أصلح لذلك، ولكن من باب التذكير بعبادة، إن طبقتها فكراً واستشعرتها روحاً اكتشفت من أنت؟

لقد كانت عبادة التفكر دأب النبي ﷺ وهو شاب في غار حراء، وظل ذلك ديدنه حتى لحق بالرفيق الأعلى. سبحان الله من ألهم بعض خلقه التفكر والرضا والصبر والتأقلم مع قسوة الحياة.. كان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول: «يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك، فلو جلست مع الناس كان آنس لك». فيقول لقمان: «إن طول الوحدة أفهم للفكر، وطول الفكر دليل على طريق الجنة».

الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك، ولذلك كان التفكر من أفضل العبادات؛ فهو يورث الحكمة، ويحيي القلوب، ويغرس فيها الخوف والخشية من الله عزّ وجلّ.

«قال الحواريون لعيسى ابن مريم: يا روح الله هل على الأرض اليوم مثلك؟

فقال: نعم.

من كان منطقه ذكراً وصمته فكراً ونظره عبرة فإنه مثلي».

يقودك التفكر إلى العقلانية والاستمتاع بكل شيء حولك؛ تتفكر وتؤمن بعدها أكثر بأن لله في خلقه شؤوناً.

2

العلم النافع

للأسف، إن أكثر ما يؤلمني في بلادي هو التعليم. فلو كان التعليم جيداً لرأيته واقعاً ملموساً ينعكس إيجاباً في المجتمع.. التعليم أصبح تلقيناً لا أكثر، صورة متكررة وأنشطة لا تضيف شيئاً لا للمدرس ولا للطالب.

التعليم هو ثقافة وحضارة وتاريخ يُروى كما هو معلوم.. وبمناسبة ذكر التاريخ كمادة تُدرّس يقول الكاتب فهد عامر الأحمدي في مقال له بعنوان «التاريخ كيف سنكتبه هذه المرة» إنه ليس معجباً بالطريقة التي يدرس بها طلابنا التاريخ حيث لا تجد فيه غير حروب وقتال وغزوات لا تنتهي. وفي حين نعيب على المستشرقين ادّعاءهم أن الإسلام انتشر بحد السيف، نتجاهل أننا نحن من كتبنا تاريخنا بهذا الشكل وساهمنا في بلورة هذا الادعاء. فمناهج التاريخ لدينا، في المرحلة الابتدائية كمثال، تركز على معارك وغزوات الرسول، وتتجاهل أن معظم القبائل استجابت لدعوته طواعية بعد مراسلته لها.

ورغم أن كثيراً من الشعوب دخلت في الإسلام عن اقتناع وإيمان بعد وفاته ﷺ كتبنا تاريخنا بطريقة توحي للصغار بحدوث ذلك بقوة السيف والانتصار في أرض المعركة، ولكن الحقيقة هي أن ما من قوة تستطيع إقناع أي شعب باعتناق أي دين. قال تعالى: {... أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}.

يفترض أن الإسلام بذاته دين فطرة وتسامح واعتراف بالديانات السابقة، وهذه المبادئ وحدها تجعله قادراً على الانتشار بقوته الذاتية.. صحيح أن الحروب تشكل جزءاً من تاريخ أي أمة، ولكن حين نوحي لأبنائنا أنها وراء كل مجد وأساس كل دعوة، نخاطر بظهور خوارج لا يرون غير هذا الجانب.

التعليم استثمار في الأجيال يحتاج إلى تطبيق عملي وإعادة نظر في المناهج عموماً، لا التلقين في كل شيء. إنكم أيها المسؤولون عن التعليم، بعيدون جداً عن الواقع. فبالرغم من كثرة البرامج المدرسية والأنشطة والتعاميم، إلا أن هناك إحباطاً عاماً لدى أغلب المدرسين والطلاب، ما يطرح في نفسك سؤالاً مثل: ماذا تأمل من هذا الجيل أن يكون؟

أصبحت المدرسة عائقاً في نفوس أبنائنا، بل مجرد الذهاب إليها يصبح كريهاً، وهذه حقيقة لا يمكن لأحد إنكارها.. يا تُرى ما هي الأسباب التي جعلت التعليم يصل إلى أدنى مستوياته وما الفائدة في ذلك؟

توفرت أسباب عديدة لتجعلنا في مراكز متأخرة في قائمة جودة التعليم على مستوى العالم، حيث أظهر تقرير لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية تصدر دول شرق آسيا لخارطة العالم التعليمية، حيث جاءت «سنغافورة» في المرتبة الأولى ثم جاءت «هونج كونج» في المرتبة الثانية، تلتها كل من «كوريا الجنوبية و«اليابان» و«تايوان». بينما احتلت دولة «الإمارات العربية المتحدة» المرتبة الـ 45 عالمياً والأولى عربياً، تلتها البحرين عربياً ثم «لبنان». وجاءت المملكة العربية السعودية في المرتبة الـ 66 عالمياً والسادسة عربياً.

إن من ضمن الأسباب باعتقادي ما يتعلق بالمناهج الدراسية، والبنية التحتية للمدارس، ووضعية المعلمين، وغير ذلك من المظاهر؛ بحيث يُعاد النظر في كامل المنظومة التعليمية الراهنة والبحث عن آفاق جديدة تنهض بالتعليم، وتواكب التطورات الاقتصادية وسوق العمل، وتجعل من التعليم رافداً من روافد التنمية الرئيسية. فما تستثمره اليوم في التعليم تجنيه غداً، جيلاً واعياً قادراً على أن يكون عنصراً إيجابياً في مجتمعه، يبني مستقبل وطنه ويصون مكتسباته لكن هذا الاستثمار يحتاج رغبة حقيقية وحوافز، تجعل مخرجات التعليم حقائق ملموسة على أرض الواقع..

إن أهم الأمور التي تساعد على تنمية العملية التعليمية تبدأ من الاهتمام بالطفل واكتشاف قدراته منذ الطفولة المبكرة، حيث إن أغلب دول العالم تعطي الطفولة المبكرة اهتماماً أكثر من سن الجامعة، لأن هذه السن هي أساس اكتشاف مواهب الطفل، خاصة وأنه في هذه السن لم يتعلم بعد فنون القراءة والكتابة والاطلاع. إن الطفل بطبيعة بيئته يمكن أن يكون أفضل طفل في العالم في حال الاهتمام بمواهبه وتهيئة كل الظروف التي تسمح له باستغلالها في الأمور الجيدة.

أذكر عندما كنت أدرس في الصف الابتدائي أن التعليم كان أفضل بكثير من الآن، لأننا كنا نذهب بحماس إلى المدرسة. ولم أسمع وقتها عن تعليق دراسة أو مطالبة بذلك إلا في الوقت الحاضر.

كان مدير المدرسة لا تفارق ابتسامته محياه.. يشعرنا بأنه أب لنا جميعاً وكذلك مدرس الرياضة، أما مدرس الرياضيات وقتها فكان يعلق «اللي ما يجاوب بالمروحة».. لقد كانت أياماً مدرسية رائعة.

إن عدم التركيز على الاستماع من القياديين والأساتذة المخلصين والمربين الذين يخالطون الطلاب/ات يجعلكم بعيدين عن الواقع. شاركوا المعلمين/ات والطلاب/ات وتخلوا عن مكاتبكم ولو لساعات.. لأيام.. فالواقع يختلف تماماً عما يصلكم. كما أن المدرسة يجب أن تكون بيئة جاذبة سواء للمدرس أو الطالب، وهذا عكس ما نراه اليوم. فمن أول قطرة من السماء، أو حركة رياح، تجد الجميع يطالبون بتعليق الدراسة في هذا اليوم.

إن المعلمين والمعلمات يشتكون كثيراً من كثرة التعاميم والقرارات، التي ليس لها فائدة تذكر سوى زيادة العبء عليهم وشغلهم بأمور كان من المفترض توجيهها في المادة التعليمية، وكذلك كيف يُطالَبون بتدريس مواد ليست من اختصاصهم ويعلمونها لأبنائنا.. ألا ترغبون بتعليم الأجيال علماً جيداً!

أضف إلى ذلك أن الأنشطة خارج المدرسة يجب أن تكون على أرض الواقع بتحديد وقت معين، وأعني بذلك التعريف بالآثار مثلاً.. لمشاهدة مدائن صالح أو مسجد عمر وقلعة مارد.. أو القيام بجولة على مصانع شركات أو مؤسسات صنعت قصة نجاح..

عندما كنت في المرحلة المتوسطة قال لنا أحد الأساتذة إنه من يوم غد سوف يأخذنا في جولة تعريفية على مصنع «مياه حلوة» بالجوف. لقد كنا سعداء جداً وفي اليوم التالي ذهبنا باكراً ولكنه لم ينسَ أن يقدم لنا السندوتشات أثناء الرحلة. وبالفعل وصلنا المصنع وقام المسؤول المختص باستقبالنا وشرح لنا كيف يتم تصنيع العلب البلاستيكية ومن ثم تعبئتها بالمياه الصحية بعد فلترتها. كانت رحلة ممتعة ومفيدة لنا جميعاً، وهذه أنشطة يجب أن تطبق ليكون لها الأثر الإيجابي والعلمي في نفوس أبنائنا وبناتنا في المعرفة خارج حدود المدرسة.

يجب وضع النقاط على الحروف ببساطة، وأعني ببساطة بدون فلسفة ولا تعقيد.

هنا نقطة البداية فلترسموا خطًّا مستقيماً.

3
لغة الشوارع

يحدث أحياناً أن تمر في شارع وتسمع لغة هذا الشارع الذي يتحدث لغات متعددة في وقت واحد. في كل مدينة تمر بها يتحدث عن نفسه سواء بأقوال أو أفعال، وأكثر ما يحزنني بصراحة هو اللامبالاة عند الأغلبية؛ فتجد شوارعنا مليئة بالقاذورات، وتجد أشخاصاً يتفوهون بكلام بذيء وخاصة في المدن المزدحمة، وليس هناك أي وسيلة للتبرير من جهتك.. ولأكون منصفاً هناك أشخاص وجهات خيرية وحكومية بادرت بأعمال على مستوى النشء والأجيال القادمة أعجبتني، كتنظيف الطرقات والشواطئ. وتوسع الأمر حتى أنني رأيت أحد كبار السن في مقطع فيديو يقوم بإزالة المخلفات ليبدأ بنفسه، ومن ثم ينتقد رمي المخلفات في البراري (نحتاج دائماً للإحساس بالمسؤولية ومراعاة للإنسان والبيئة).

نثني على من يشعر ويستشعر بما له وما عليه ونسعد به، ونحزن عندما نرى ما نراه اليوم. وبينما نحن نطالب الجهات الحكومية أو الخاصة ببيئة خضراء، ومحطات طرق نظيفة، نجد من يغرس شجرة ومن يقتلعها، ومن ينير درباً ومن يطفئه، ومن يزيل أذى في طريق الناس ومن يرميه. وقس على هذه الأشياء أشياء قد يحتاجها كل منا.. وفي المقابل هناك من لا يبالي.

لا أعلم إذا كان كلام الكاتب البريطاني روبرت فيسك صحيحاً، عندما تساءل قائلاً: «لماذا تبدو بيوت العرب غاية في النظافة لكن شوارعهم والأماكن العامة تملؤها القاذورات». وأجاب فيسك على نفسه في المقولة المنسوبة إليه عام 2009 قائلاً: «هذا الأمر في غاية الدقة والسبب أن العرب يشعرون أنهم يمتلكون منازلهم ولكنهم لا يمتلكون أوطانهم».

هنا أنت من تحدد أجابتك، وتذكر أن من الأخلاق الأساسية في الإسلام خلق إماطة الأذى عن الطريق بقول النبي ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق». ومعنى ذلك أن إماطة الأذى عن الطريق جزء من الإيمان. ويقول عليه أفضل الصلاة والتسليم، في حديث آخر: «إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم».

مشكلة أخرى أو دعني أقلْ لغة من لغات الشوارع الأخرى تفاقمت بشكل خطير خلال الفترة الأخيرة في الكثير من بلادنا العربية، وقد سارع الكثير من المؤسسات الإسلامية للحد من تلك الظاهرة، لما ينتج عنها من مشاكل كثيرة تساهم في حرمان شريحة كبيرة من هؤلاء الأطفال – الشباب – الشابات في إشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية. إلاّ أن الظروف الأسرية السيئة، نتيجة الطلاق أو الهجر، والعيش في كنف زوج الأم أو زوجة الأب، والفقر والأمية والانحطاط الأخلاقي وغياب الوعي الديني للوالدين، كثيراً ما تدفع الأطفال أو حتى الشباب والشابات إلى الهروب وخروجهم إلى الشارع حيث يتعرضون لكل أشكال الاستغلال المادي والجنسي والبدني، ويعانون من سوء المعاملة والحرمان النفسي، ومن أجل توفير لقمة العيش يمارسون مجموعة من الأعمال غير الرسمية مثل التسوّل وبيع السلع التافهة وممارسة أعمال غير قانونية.

إن المشكلة متشعبة وتتطلب جهوداً متكاملة ذات رؤية واضحة وجادة للعمل؛ إن إنشاء نظام اجتماعي يقوم على تفعيل آلية لرصد الأطفال – الشباب – الشابات المعرضين للخطر والتدخل المبكر لحمايتهم وأسرهم من كل أشكال العنف والاستغلال يعد مطلباً مهماً في حين تخلى البعض عن مسئولياته؛ بالإضافة إلى ضرورة تطوير البرامج في بلادنا العربية مثل: مكافحة الفقر وتحسين وتفعيل مكاتب الاستشارات الأسرية وإنشاء مراكز تأهيل مهني ونفسي واجتماعي للأطفال والشباب والشابات.. والنظرة التي يجب أن تتكون عن هؤلاء أنهم غالباً ضحايا وليسوا مجرمين.

لقد جاء الإسلام بحقوق وآداب تتعلق بالطريق أين نحن من تطبيقها؟

إماطة الأذى عن الطريق من الإيمان – غَضُّ الْبَصَرِ – كَفُّ الأَذَى – رَدُّ السَّلاَمِ – إفشاء السَّلاَمِ – الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْي عَنِ الْمُنْكَرِ – تشميت العاطس إذا حمد الله – إدلال السائل – إرشاد السبيل – هداية الأعمى – حسن الكلام – إغاثة الملهوف هداية الضال (الحيران) – إعانة المظلوم – المعاونة في الحمل – حسن الكلام – ذكر الله كثيراً.

وكما قيل شوارعنا ينقصها الحبّ والفن.. ينقصها العازفون والناس المبتسمون.. ينقصها ناس لا يتدخلون في شؤون غيرهم.. شوارعنا تحتاج أخلاقنا، فقد تعزف أجمل الألحان بأخلاقك ومن يراها يدعو لك الله أن يوفقك ويبارك لك في خلقك وعقلك وعملك الطيب الذي قمت به.. نعم نحن بحاجة لكثير من القدوات الحسنة. فلنجعل لشوارعنا المزدحمة جسوراً للمحبة والسلام ومساعدة الآخرين بصدق واحترام.

صخرة في الطريق هي قصة ذات أبعاد تحكي واقعاً مشابهاً لأحداث قد تراها يومياً، وتقول القصة إنه ذات يوم أمر ملك بوضع حجر كبير وثقيل في أحد الطرق العامة الرئيسية، ثم كلف بعضاً من رجاله ليراقبوا سرًّا ما يحدث.. مَن الذي سيهتم ويقوم بإزاحة هذا الحجر؟

كثيرون رأوا هذا الحجر وتذمروا قائلين: لماذا لا يهتم المسؤولون بالطرق؟! لماذا يتركون الأمر هكذا؟ لكن أحداً لم يحاول أن يرفعه.

أخيراً أتى رجل رأى الحجر فاندفع بحماس وبذل جهداً كبيراً فنجح في إزالته.. اندهش الرجل حين وجد في مكان الحجر المرفوع قطعاً من الذهب وبجواره ورقة كتب عليها: «هذا الذهب يقدمه الملك إهداء منه للرجل الذي اهتم بإزالة الحجر».

كثيرون لا يعبأون بمشاكل الآخرين ولا يفكرون إلا في ذواتهم.. يهربون من التضحية من أجل الغير.. يظنون أن الراحة تكمن في الابتعاد عن المتاعب التي تجلبها خدمة الآخرين.. يكتفون بتحليل المواقف وإبداء النقد. لكني أرجو أن لا تكون أنت من هؤلاء؛ فكل حجر نسهم في إزالته من أمام الآخرين يحمل لنا مزيداً من الفرح. وما زلت أتذكر موقفاً مشابهاً يحدث أمام عيني في كل مرة أخرج فيها إلى مكان عام، حيث أرى في أغلب الأحيان بعض الأطعمة ملقاة على الطريق، وقبل أن ألتقط ما أراه تسبقني زوجتي لفعل ذلك.. قبل أن تنتقد عملت ودعت الله بأن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.. شكراً لها ولكل إنسان ساهم ولو بعمل بسيط في نظره، كبير جداً وقيّم عند غيره.

4
العمل بضمير ممتع

نقضي في أماكن العمل ساعات طويلة هي بمثابة جزء كبير من حياتنا، ما يجعلنا نطمح لأن يكون وقت العمل جميلاً، وأن نقضيه بأكبر قدر من المتعة والانسجام. وهذا لا يعني أن نترك أعمالنا للتسلية، ولكن يجب أن نجعل وقت العمل أكثر متعة وإنجازاً..

إنه ممتع إذا تضافرت الجهود واستشعر الجميع ذلك، ولهذا ينتقدني البعض لأنني أجد أن العمل في الدوائر الحكومية، وحتى تاريخه، ممل وقاتل للكثير منا بسبب الروتين. ليس هناك اهتمام بالموظف الذي يقدم الخدمة عموماً.. بدايةً ومن باب أخذ الأمور بالعقل وبإحسان أرجو أن تهيأ للموظف بيئة عمل رائعة كذلك مكافأته في حال تميز وأنتج (ولا يعني هذا مكافأة مالية فهناك مكافآت من نوع آخر...).

كثيراً ما يتساءل أصحاب العمل والمدراء حول السبب وراء ضعف الفاعلية، أو الخمول، أو تراجع الأداء لدى موظفيهم، الأمر الذي ينعكس على ضعف الإنتاج بشكل عام. ويعتقد هؤلاء المدراء أن عدم تلبية حاجات الموظفين، وعلى رأسها المقابل المادي هو السبب الرئيسي.. هذا ما أكدته دراسة نشرت في جريدة USA TODAY سئل فيها مجموعة من أصحاب العمل عمّا يعتقدون أنّ موظفيهم يحتاجون إليه بشدة.. فكانت الإجابة بأن الحاجة الأولى هي الأجور المرتفعة.. وأن الحاجة الثانية هي الأمان والاستقرار الوظيفي.. وأن الحاجة الثالثة هي إتاحة الفرصة للترقي..

ولكن عندما سُئل الموظفون نفس هذا السؤال.. كانت إجابتهم.. بأن الأجور المرتفعة هي الحاجة السابعة وأن فرصة الترقي هي الحاجة الثانية عشرة.. وأن الأمان والاستقرار الوظيفي هما الحاجة الثالثة عشرة.. وأما الحاجة الأولى بالنسبة إلى الموظفين فقد كانت العمل الممتع.. والحاجة الثانية كانت الحصول على التقدير عند إنجاز الأعمال.. أما الحاجة الثالثة فقد كانت الإحساس بالاشتراك في صنع القرار.

يجب أن ندرك جيداً، ونعمل على تحقيق ما ينبغي تحقيقه، وأن تختار كل جهة، أو وزارة مسؤولة، قادتها بعناية، حيث إننا بحاجة إلى إعادة النظر في اختيار القادة والمسؤولين، وبحاجة إلى تحسين بيئة عمل تليق بالموظف.. هناك إحباط كبير من الموظف الذي ما أن تجلس معه حتى يكون حديثه عن العمل «غير مرضٍ».. وهنا نذكّر قائلين بقول الله سبحانه وتعالى: {... **إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**}.

رغم ما يعانيه البعض إلا أنه الهدف الأسمى. مهما كنا غير راضين أو محبطين، فلنتذكر أن الله سبحانه لن يضيع عملاً قمت به لمساعدة الناس وهي خدمة تؤجر عليها؛ فحاول جاهداً أن تصنع أنت الفارق في حدود العمل المسموح به.

كنت في العمل وأتى إليّ أحد الأطباء وسألني: ياسر.. هل تلعب كورة القدم معنا بعد نهاية الدوام؟ كنت بحاجة إلى لعب كورة القدم وخاصة في وقت الفراغ، ولكني بصراحة لم أجد من ألعب معه. فأغلب من أعرفهم لا يمارسون لعبة كورة القدم.. فقلت: نعم وبدون تردد. قال لي: إنهم ثلاثة فقط ونريدك أن تلعب معنا، وإذا كنت تعلم عن أحد يريد اللعب فأهلاً وسهلاً به. فاقترحت أن أعمل مجموعة في الواتس أب ونسميها (فريق الصحة العامة). قال لي: فكرة رائعة. وبعد أن أضفنا إلى المجموعة من يرغبون باللعب معنا.. تطورت الفكرة لأن تصبح فرقاً في القطاع الصحي على مستوى القطاعات التابعة للمنطقة لطرحها على الدكتور المسؤول عنا، ليرحب بالفكرة ويشجعها، وبذلك سيكرم الفريق الفائز بالمركز الأول والثاني. ومن هنا وبفكرة واحدة فقط قد تجمع العاملين ولا تفرقهم، وتحثهم برسالة مفادها: تنافس وعمل وممارسة للرياضة صحة للجميع.

قد تكون هذه الفكرة قد طبقت في عدد من المدن أو المناطق الأخرى ولكني أتحدث هنا عن فكرة بسيطة من مجموعة أفكار.

عندما تعمل وأنت تستشعر أن الله يرى ويسمع سوف تطمئن وتستمر.. نعم كلنا نضعف أحياناً ولكن نرجع أقوى لنعيش ونتعايش. لذا أرجو أن تبتسم وتبدأ بروح وتدعو الله أن يعينك ويقويك لأداء مهامك وواجباتك على أكمل وجه.. اعمل فالعمل نعمة من الله وتفكر في غيرك لترى كم من إنسان يتمنى أن يكون مكانك، لا ليعيش، ولكن ليقضي على وقت فراغه ويسعد بخدمة الناس.

شكراً لكل العاملين المخلصين في جميع المجالات. شكراً لكل من عمل ورسم لنا ابتسامته الرائعة.

5
تعامل في الحياة بذكاء

قد يكون الذكاء ممارسة يومية في كل حركة في حياتنا.. فهو حسن التصرف وحسن إدارة الموارد والوقت ومراعاة الأولويات والنظام في إدارة الأشياء.. الحياة تستحق أن تعيشها لتحقيق الذات والرضا عن النفس والتفاعل مع الناس وإيجاد السعادة الحقيقية. فإذا لم يكن ذكاؤك العاطفي جيداً كذكائك المنطقي، ستكون الحياة كالجحيم.

إن من خصائص التعامل في الحياة بذكاء أن تملك الثقة بأنك تتصرف على طبيعتك، وتفهم الحياة وطبيعة الناس. كما يجب عليك معرفة الوجهة التي تسير فيها وإليها.

وقد قرأت موضوعاً منذ فترة يتحدث عن كيفية التعامل مع الناس في الحياة بذكاء، ذُكرت فيه نقاط قد تساعدك في الحياة ومنها:

تجنّب الحديث عن النّفس وما تُخفي من مشاعر: لأنّ النّاس لا يحبون من يتكلّم عَن نفسهُ دائماً، وقد يوصفُ بالغرور وعدم الثّقة بالنّفس.

الاستماعِ قبل الكلام: الاستماع يجعل الشّخص يعرف ما وراء الكلام، وما المَقصد من الحديث، وما هي المشاعر التي يخفيها المُتحدّث، فالإنصاتِ نصفُ الحكمة.

الابتعاد عن الكلام البذيء: الكلام البذيء يَهدمُ العلاقات مهما تكن قويّةً ومترابطةً، وقد يجعل من الشّخص موضِع سخرية من الآخرين، ويقلّل مكانته بينَ النّاس.

الهدوء عند التحدّث: الهدوء والصّوت الرّقيق يجعل آذان الآخرين تُنصت للمتحدّث، فالإزعاجِ بالكلام بصوت مرتفع منفّر أمر غير محبوب نهائيًّا عند النّاس خصوصاً إذا كان هناك موضوع مثير يستحقّ الحديث.

الذّوق الأخلاقيّ: الأخلاق والصّفات الحميدة هي التي تجذب قلوب الآخرين ومن دونها لا يكون هناك فنّ في التّعامل أو قدرة على بناء علاقات ناجحة، وللحفاظ على الأخلاقيّات والذّوقيّات، لا بد من الوقوفِ مع الآخرين في أزماتهم وتقديم المساعدة والعون لهم، وعدم الإساءة إلى الآخرين ومراعاة مشاعرهم.

عدم تقديم النّصيحة لأحد إلاّ إذا طلبَ هو ذلك. الابتعاد عن تقليد حديث الآخرين حتّى لو كان أسلوبهم جميلاً، والشّخص يجب أن يكون نفسه لا أحد آخر، فالتّقليدُ طمس للشّخصيّة. الابتعادِ عن النّميمة والغيبة. الدبلوماسيّة في الحوار. التّكلّم بشيء مفيد وله دلالة.

رسم الابتسامة على وجوه الآخرين: يجب أن يبقى الشّخص مُبتسماً مرحاً حتّى يجذب الآخرين إليه ولا ينفروا منهُ، وبالتّالي الابتسامة هيَ أوّل الطّريق إلى القلب وكسبِ حبّ الآخرين.

التّواضع والابتعادِ عن الكبرِ والغرور.

وإضافة إلى تلك النقاط يجب أن تتعلم كيف تخرج من مأزق ما، وتواجه مشاكل الحياة بذكاء. وقد قرأت قصة جميلة تقول إن حكيماً خرج عليه لص يحمل مسدساً.. فقال له: أعطني ما معك من المال وإلا قتلتك! فأعطاه الحكيم المال وقال له: لو قلت لزوجتي إن المال سُرق مني فلن تصدقني، ولذا أرجوك أن تطلق رصاصة لتخترق قبعتي، فتصدق زوجتي بأن لصاً سرقني فأطلق اللص رصاصة على قبعة الحكيم، فقال له: ستصفني زوجتي بالجبن لو علمت أنني سلمتك مالي بسبب رصاصة واحدة، ولكن أطلق على معطفي عدداً من الطلقات لأبدو وكأنني خضت معركة شرسة مع اللصوص قبل أن أسلمهم المال! فأطلق اللص عدداً من الطلقات على معطف الحكيم. ثم قال له: أعتذر لك فقد نفدت جميع الطلقات التي معي. حينها أمسك الحكيم باللص بقوة وقال له: أعطني جميع ما معك من نقود وإلا أوسعتك ضرباً. فرمى اللص جميع ما معه من نقود وفرّ هارباً.

القوة ليست للأقوياء دائماً بل للأذكياء، وهنا أحب أن أنوه بأن الذكاء في الحياة ضرورة، والقصص في هذا المجال كثيرة؛ ولذا قررت أن أكتب حول هذا الموضوع عندما رأيت أناساً لم يستطيعوا العيش في الحياة بذكاء حيث أصبح مصيرهم مستشفيات الصحة النفسية وتعاطي الأدوية فقط.

عش حياتك وأنت تنظر إليها من خلال عقلك قبل نظرك، وضع يدك اليمنى على قلبك لتشعر بدقاته (بأنك موجود) قبل أن يتوقف.. ونحن الآن في زمن نحتاج عقولنا وأخلاقنا معاً لنعيش.. وكما قيل نحن لا نعيش لنأكل فقط.

6
لا تقطع أذنك

يُحكى أن أحد الملوك تأخرت زوجته في إنجاب ولي العهد، فأرسل في أثر الأطباء من كل أرجاء المملكة. وشاء الله أن يجري شفاء الملكة على أيديهم، فحملت الملكة بولي العهد، وطار الملك بذلك فرحاً وأخذ يعد الأيام لمقدم الأمير. وعندما وضعت الملكة وليدها كانت دهشة الجميع كبيرة، فقد كان المولود بأذن واحدة. انزعج الملك لهذا وخشي أن يصبح لدى الأمير الصغير عقدة نفسية تحول بينه وبين كرسي الحكم، فجمع وزراءه ومستشاريه وعرض عليهم الأمر. فقام أحد المستشارين وقال له: الأمر بسيط أيها الملك، اقطع أذن كل مولود من المواليد الجدد، وبذلك يتشابهون مع سمو الأمير. أعجب الملك بالفكرة وصارت عادة تلك البلاد، أنه كلما وُلد مولود قطعوا له أذناً، وما أن مضت عشرات السنين حتى غدا أفراد المجتمع كله بأذن واحدة.

وفي أحد الأيام، حدث أن شاباً حضر إلى المملكة، وكان له أذنان كما هو في أصل خلقة البشر، فاستغرب سكان المملكة من هذه الظاهرة الغريبة، وجعلوه محط سخرية، وكانوا لا ينادونه إلا بذي الأذنين، حتى ضاق بهم ذرعا، وقرر أن يقطع أذنه ليصبح واحداً منهم.

هل يمكن لمجتمع ما أن يكون معاقاً بالكامل؟

نعم، لقد حدث هذا في تاريخ البشرية.. فالله سبحانه كان يرسل الأنبياء ليصححوا إعاقات المجتمعات الفكرية والسلوكية والدينية.. وخذ أمثلة على ذلك:

مجتمع إبراهيم عليه السلام كان معاقاً بالشرك، وكان إبراهيم بينهم غريباً لأنه لم يمارس إعاقتهم. ومجتمع لوط كان معاقاً بالشذوذ وكان لوط عليه السلام بينهم غريباً لأنه لم يمارس إعاقتهم. ومجتمع شعيب كان معاقاً بالربا والتطفيف وكان شعيب عليه السلام بينهم غريباً لأنه لم يمارس إعاقتهم.

هناك قاعدة فقهية تقول: إجماع الناس على شيء لا يحله، فالخطأ يبقى خطأ ولو فعله كل الناس.. والصواب يبقى صوابا ولو لم يفعله أحد. لا تقطع إذنك. وإذا كنت على يقين أنك على صواب فلا تتنازل عنه لإرضائهم، إذا كانوا لا يخجلون بخطئهم.. فلماذا تخجل أنت بصوابك.. ومن هنا أيضاً تفكر لتعلم ومن ثم تؤمن.

يجب أن تكون لك شخصيتك وطريقتك الخاصة في تفكيرك. لا تجعل من نفسك تابعاً أو إمّعة.. التقليد الأعمى هو فقدان الثقة بالنفس لشعوره بالنقص، وهو إحساس داخلي لا يعلمه إلا المقلد فيفقد ثقته بنفسه تماماً ويعتمد على التقليد أو التبعية في كل شيء ليحقق نجاحاً لا يستحقه، لأن النجاح في الحياة لا يكون نجاحاً إلا بالتعب والمثابرة، وبذلك يكون قد حكم على نفسه بالفشل، وأيضاً يفقد احترامه لذاته، ولن يشعر بالسعادة أبداً من فقد احترامه لنفسه لأنه بالتالي سيفقد احترام الآخرين له.

إن من يقلد لن يستطيع الاستمرار بالتقليد طوال العمر لأن طبعه الذي كبر عليه سيتغلب على تطبّعه، فمرة سيؤدي دور من يقلده ومرة أخرى سيقوم بدور نفسه؛ أي أنه يقوم بالعمل الذي تعوده في الصغر وبذلك سيعيش في ضياع وفوضى فيخسر كل شيء.

كم سمعنا عن فتيات أجرين عمليات تجميلية لكي يشبهن فنانة أو ممثلة مشهورة؟ وكم أدت هذه العمليات إلى أمراض خطيرة؟ فلم ينفعهن هذا الجمال المصطنع، فخسرن مستقبلهن بل وحياتهن. علينا أن نستقلّ بشخصيتنا تماماً لأن هذا الاستقلال سيعطينا حافزاً للجد والبحث، فلا بأس أن نقتدي بمن يستحق الاقتداء به، ولكن ضمن إطار شخصيتنا المتميزة عن غيرنا..

إن الطبيعة البشرية تفرض على الإنسان الاتصال بالآخرين، والاحتياج لهم أحياناً، ومحاكاتهم في بعض الأمور.. والشخص الناضج يتعامل مع هذه الطبيعية بنوع من التوازن بحيث لا يتناسى نفسه وتطلّعاته بالانغماس في اتّباع الآخرين.

7
لا تغضب غضباً يفقدك عقلك

خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب الأرض ومن ذريته جعل الأبيض والأسود، والطيب والرديء، والقاسي واللين، فنشأت نفوس ذرّيته متباينة الطباع، فما يصلح لبعضها قد لا يناسب غيرها. ومن هذا المنطلق راعى النبي ﷺ ذلك في وصاياه للناس؛ إذ كان يوصي كل فرد بما يناسبه، وما يعينه في تهذيب نفسه وتزكيتها.

وفي رواية أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: لا تغضب، فردد مراراً، قال: لا تغضب.

قال الرجل ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله.

ولقد طرحت هذا العنوان من ضمن عناوين كثيرة أحببت أن أجمع فيها العقل بالأخلاق. ولأن الغضب يجمع الشر كله ها نحن اليوم نرى الغضب انتشر في كل صغيرة وكبيرة، حتى ذهب بالعقل والأخلاق معاً، ولأمور أغلبها تافه وسخيف.

قال لي أحد الزملاء: أتريد أن تعرف ماذا يفعل الغضب بالإنسان؟ اذهب إلى أحد المدرجات لمشاهدة مباراة مثلاً، ستجد التطاول أحياناً وأنواع الشتائم تنهال على الفريق أو الفريق الآخر من أجل خسارة مباراة لفريقه؛ فقلت له: لا تحدثني، أتذكر عندما أردت حضور إحدى المباريات وصادف أني كنت في الرياض؟ حضرت بكل أدب واحترام، ولكني تمنيت لو أنني لم أحضر لأسمع أخاً يشتم أخاه. وآخر طلق امرأته وانفجر غاضباً عندما عملت له مفاجأة ليلية تنيرها الشموع، وهواء برائحة العود، وسرير مغطى بالورود في تلك الغرفة التي بالكاد كان ينقصها فقط

سحابة نقاء وقطرات ماء.. ليس بالضرورة أن ما تحبه يحبه غيرك ولكن هل تستحق الغضب!! (أجزم بأن الجميع كانوا يتمنون امرأة مثلها).

أيضاً كم نفس حكم عليها بالقصاص بسبب الغضب وأعرف شخصاً والده باع كل شيء يملكه من أجل إكمال المبلغ الذي كان بالملايين للتنازل عن ابنه القاتل كل هذا بسبب الغضب.. يا حبيبي يا رسول الله، لقد علمتنا كل شيء في هذه الحياة ولكن هل نحن فعلاً نقرأ لنتعلم!

كان النبي ﷺ يكثر من دعاء: (اللهم إني أسألك كلمة الحق في الغضب والرضا).. إذ إن الغضب إذا اعترى الإنسان فإنه قد يمنعه من قول الحق أو قبوله؛ وإن من الصفات التي امتدح الله بها عباده المؤمنين في كتابه ما جاء في قوله تعالى: {**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**} [آل عمران: 134]. فهذه الآية تشير إلى أن الناس ينقسمون إلى ثلاث مراتب: فمنهم من يكظم غيظه ويوقفه عند حده، ومنهم من يعفو عمن أساء إليه، ومنهم من يرتقي به خلقه إلى أن يقابل إساءة الغير بالإحسان إليه.

ليس شرطاً أن تمر بموقف غضب صدر منك لتتعلم منه؛ فقد يكون صفحات حياة من رأيتهم وعايشتهم في حياتك؛ المهم أن تدرك بأنك تحتاج عقلك السليم أكثر من لسانك ويدك.

8
الهياط فوبيا

من أكثر المواضيع التي تضايقني وفي الوقت نفسه من أكثر المواضيع المهمة التي تحتاج إلى علاج.. ما يحصل الآن ونراه قد زاد عن حده.. سخافة عقول بكل ما تعنيه الكلمة من حرف؛ فمصطلح «الهياط» عُرف بأنه المبالغة، لدرجة التطرف، في المباهاة والتفاخر. وللأسف فمن الأمثلة على الهياط في المجتمع السعودي غسل أيادي الضيوف بدهن العود، والبذخ والمبالغة في ولائم الطعام، وآلاف الريالات والذهب التي تُفرش على الأرض وتُنثر على المواليد. وما يحزنني أكثر أنها وصلت حتى في عمل الخير وصدقة السر لتنشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وهو من وجهة نظري سلوك فردي لأفراد دفعهم حب الشهرة لذلك.. وربما لا يدرك المهايطيون أنهم بمثل هذه الأفعال يثيرون مشاعر الفقراء والمساكين، ويثيرون أيضاً مشاعر العقلاء الذين يعلمون جيداً الفرق بين الكرم والهياط.

إنه فعل مقزز وحالة مرضية تفشت في مجتمعنا، وله دلالات؛ إنه تبذير وإسراف واستخفاف بالنعم التي أنعمها الله علينا.

ومن هنا نذكر موقفاً من مواقف الهياط وشاهداً؛ حيث أوضح راشد الهاجري لـ «العربية.نت» التي أثارت فعلته الموثقة بالصور والفيديو وهو يذبح زرافة أثناء رحلة قنص في إفريقيا، قائلاً:

من يمثلون السواد الأعظم من هواة القنص حسب تصنيفه هم الباحثون عن «الهياط» و«الفشخرة»، ويمثلون ما نسبته 90% من ممارسي الهواية، مؤكداً أن هناك من مشاهير التواصل الاجتماعي من عرض عليه رحلة قنص شاملة التكاليف، على أن يقوم هو بالقنص وهم يستأثرون بالتصوير مع الصيد، و«الترزز» بالأسلحة وملابس التمويه في السناب شات والأنستغرام بقصد لفت أنظار الأصدقاء والصديقات، ولكنه رفض ذلك العرض.

لا أعلم ما هو شعور المهايطي عندما يتصنّع ويكذب على نفسه وعلى الآخرين، ولكن عافانا الله وإياكم من هذا المرض ومن وقت فراغ لا ينفع.. ابتلينا بأناس ليس لهم هدف في هذه الحياة.. أخلص النية لله تعالى، واحذر الرياء في القول والعمل.

أعتقد من وجهة نظري البسيطة بأن الهياط كان حصراً على فئة من الناس ولكنه انتشر بفضل وسائل التواصل الحالية وأصبح للتقليد الأعمى الفضل الأكبر في زيادة الأعداد. وللأسف هناك من لا يستحق أن يكون قدوة لأبنائه بسبب أفعال ليست من الإسلام في شيء. أهي العادات والتقاليد التي أصبحت عذراً لكل بليد؟ أم أنها تراكمات سابقة وظهرت في هذا الجيل من جديد؟

أيها المهايطي، فلتقدر أن لنا عقولاً تختلف عنكم، لنتقِ الله في جميع الأحوال فقد رأينا في غيرنا عبرة.. ولنكن على طبيعتنا وببساطتنا، فهي الجمال الحقيقي غير المصطنع.

9

استراحة محارب

يقول الشاعر نزار قباني: «في الشعر لا يوجد شيءٌ اسمه استراحة المحارب». أما في الحياة فقد تحارب كل شيء لتعيش واقعاً كريماً من رب كريم. إن كنت تحاول جاهداً رضا رب العالمين بإخلاص العمل فأنت مُحَارِب. جميع مشاكلك وهمومك إن لم ترمك وتسقطك وقلت لنفسك ما زلت واقفاً أحارب فأنت محارب. إن كنت محباً وتتوق إلى ماضيك وتحاول نسيانه أو إعادة ذكراه فأنت مُحَارِب. إن كنت تكتم مشاعرك وتكتبها ولا تشكي للناس أبداً فأنت مُحَارِب. إن كنت تعيش مع كتاب تقرأه بعيداً عن التفاهات فأنت مُحَارِب. ولكنك تحتاج إلى استراحة لتلتقط أنفاسك، وتعيش بمشاعرك، ولتغسل روحك بمدامعك لتتذكر بأنك إنسان يصيب ويخطئ أحيانا، يملك العقل والأخلاق لذا هو مُحَارِب.

إن أجمل شيء، حين يقرر المحارب استراحة تمكنه من جمع أشيائه والرحيل بعيداً إلى بيت الله، مكة المكرمة، أو مدينة رسول الله ﷺ حيث يجد ما لا يجد من راحة في أي مكان في العالم.

أذكر عندما دخلت الحرم المكي للمرة الأولى في حياتي ونظرت إلى الكعبة دمعت عيناي، وشعرت بشعور تمنيت أن أكتبه لكم، ولكن باعتقادي أن دموعي تعبير صامت يغني عن التعبير، أحسست بأن الدنيا لا تساوي شيئاً. كلنا نعلم ذلك، ولكني شعرت بها في قلبي، وفي كياني ودعوت الله مخلصاً بأن لا يجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي، ولا إلى النار مصيري.. دعوته بالعفو فاعف عني يا رب واعفُ عن المسلمين. كنت مسترسلاً بالدعاء حتى عطشت فذهبت لأشرب كوباً

من ماء زمزم، وبعد ذلك جلست أتأمل الكعبة والناس يطلبون من الله العفو والغفران.. فتنهدت تنهيدة أراحتني كثيراً، وكأنها أخرجت أسوأ ما فيّ. ذهبت إلى المدينة حيث كان رسول الله محمد بن عبد الله، معلم المسلمين وقدوتهم، وإلى جواره أبو بكر وعمر رضي الله عنه.. خرجت من المسجد لأرى ما حوله، وأتأمل وأنا أسير حيث كان يسير رسول الله وأصحابه. فوجدت الناس ممددين على الأرض وكأنهم لم يناموا لأيام.. طمأنينة قلب وصفاء فكر وراحة جسد.

إنهم مُحَارِبون لراحتهم بين صفحات كتاب الله وسجوداً له، يغنيهم ويشرح صدورهم ويقويهم.

يقول جبران خليل جبران: كلنا محاربون في معركة الحياة ولكن بعضنا يقود وبعضنا يُقاد.

10
قلب أبيض

«قلبك كثوبك» أذكر هذه المقولة جيداً. عندما زار أحد الأشخاص مريضاً، وكان هذا المريض يلبس رداء أبيض ناصعاً ونظيفاً فسأله عن قلبه؟! فأجاب الحمد لله، أنه أفضل من أي وقت مضى؛ فقال تلك الكلمة «قلبك كثوبك».. يقصد أن قلبه أبيض كثوبه الناصع النظيف، ما جعله يبتسم ويشكره على حسن ظنه. فعلاً بعض الكلمات نور وبعضها قبور؛ ولكن ماذا لو كان يلبس رداءً أسود.. أعتقد أنه لن يقول هذه الكلمة، والسبب أن من يزورك غالباً لا يريد أذيتك، خاصةً وأنك مريض. فإن كان يحبك لن يتكاسل عن زيارتك أو حتى الاتصال بك للاطمئنان عليك، وإن كان عكس ذلك فإما أن يسامحك ليزورك وإما لن يقصدك أبداً.

قلبك أبيض وما يجعل لونه مختلفاً هو الله الذي من يبقيك حياً ترزق.. ماذا لو كان الدم فاسداً.. ماذا سيحصل لك؟ تذكر دائماً أن هذا القلب الأبيض تقع مسؤولية المحافظة عليه نقياً عليك، فلا تحمّله ما لا يُطاق من حسد وكره وحقد أو نفاق.

قال رسول الله في حديث: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

في هذا الحديث الشريف لمحة من لمحات الإعجاز العلمي؛ إذ إن أي مرض يصيب القلب فيفسده يؤثر على سائر الجسد فيفسد؛ وذلك لأن القلب يضخ الدم غير المؤكسد – من البطين الأيمن إلى الرئتين حيث يُنَقَّى بأكسدته، ويعود الدم المؤكسد النقي من الرئتين إلى البطين الأيسر

الذي يضخه إلى كل أجزاء الجسم، فيمد جميع الخلايا المكونة لجسم الإنسان بغاز الأوكسجين والغذاء، وإذا اضطربت هذه الوظيفة أو اختلّت وفسدت، وصل هذا الفساد إلى سائر خلايا الجسد.

انظر إلى قلبك تعرف من أنت..!! فلتطهر قلبك ولتبتسم، حيث قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم».

يا تُرى بأي قلب ترغب أن ينظر الله إليك؟!!

11
الطيبون والطيبات

أتقدم بتحياتي وخالص تقديري واحترامي لكل الطيبين الذين ظلموا في هذا المجتمع من فئة الأغلبية.. فقد ظلموا بالسخرية وسوء الظن وبالغيبة أيضاً. وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**}.

رائعة هذه الآية، وفيها من الآداب ما يجعلك تتأثر حقًّا، وتسأل نفسك بدون مبالغة: إلى أين وصلنا في اللامبالاة والاستخفاف..!! يقول فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي في تفسيره لهذه الآية: إن هناك مقياساً عند الله في الترجيح بين البشر وهو غير المقياس الذي عند الناس. ومن التباعد بين المقياسين تنشأ هذه الأمراض النفسية: السخرية، الاستعلاء، الكبر، الغيبة، النميمة. وقد اعتمد القرآن الكريم على مقياسين للترجيح بين البشر: مقياس العلم ومقياس العمل.

أما مقياس العلم ففي قوله تعالى: {**... هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ...**}.

وأما مقياس العمل ففي قوله تعالى: {**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا...**}.

إن كنت مؤمناً حقاً لا تعبأ بالغني ولا بالقوي، لا تعبأ بغير المؤمن ولو كان قويًّا وغنيًّا فهذا هو الولاء والبراء، راجع نفسك هل تعتمد مقياس الناس في تقييم الناس؟ أم تعتمد مقياس رب الناس؟

المؤمن مؤدب.

فقد أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ.

هناك من يُحقر الآخرين، وهناك من يُحقر نفسه ليضحك الآخرين، وهناك من يحاكي الآخرين بحركاتهم وسكناتهم ومشيتهم، بينما كان النبي عليه الصلاة والسلام ينادي أصحابه بأحب الأسماء إليه. لا تحتقر غيرك فإنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

انظر إلى السماء فإذا أيقنت أنك طيب اسجد لله فرحاً مبتسماً، فهي نعمة لا تعطى إلا للطيبين مثلك. فلا يغرنك قولهم: لقد انشغلوا بما لم تنشغلوا أنتم به.. هذه الآية ليست درساً بل هي دروس وحقائق نراها اليوم بكثرة. وأرجع لأقول بسبب زيادة الراغبين في الوصول للشهرة، عند البعض كامل الاستعداد للتخلي عن الآداب العامة حتى مع أقرب الناس إليه، وللأسف الشديد.. أليس هناك عقول تعقل أو مشاعر تشعر بما يشعر به الطرف الآخر؟

تجاهل الجاهلين أمر يشعرك بالإيجابية المطلقة حتى وإن حاولوا استفزازك فلن ينجحوا ما دمت كبيراً بعقلك. لا تلتفت لمن تركتهم خلفك، بل امضِ قدماً نحو الطريق المستقيم.. وفي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» رواه البخاري؛ وفي رواية لمسلم أن رجلاً سأل رسول الله: أي المسلمين خير؟! قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده».

الحديث يوجه ويرشِد إلى الكفّ عن أذية الناس باللسان واليد، فلا يؤذي المسلمُ أحداً من الناس بقول ولا بفعل. وكف أذى اللسان يكون بالامتناع عن الكلام في أعراضهم، فلا يغتاب أحداً، ولا يسعى بين الناس بالنميمة، ولا يرمي أحداً ببهتان أو يتهمه بلا دليل، ويكون ذلك بتنزيه لسانه عن السب والشتم والقول الفاحش والتحقير والاستهزاء والسخرية وغير ذلك من أنواع الأذى.

12
هل نحتاج رقيباً؟!

أول سؤال أسأله لنفسي دائماً بهذا الخصوص: لماذا لا نراقب أنفسنا.. هل نحتاج إلى شيء خارجي لنضبط به أفعالنا وتصرفاتنا؟ هل نحتاج إلى كاميرا مراقبة؟ وماذا لو كانت موجودة فعلاً أمامك ماذا ستفعل هل ستحسب حساب كل شيء تفعله؟!

عندما ترى شخصاً ما مخالفاً أو مقصراً أو مستهتراً تسأل نفسك هذا السؤال؛ وخذ مثالاً واقعياً.. «نظام ساهر» وهو عبارة عن نظام للضبط الإلكتروني، الذي يستخدم تقنية شبكة الكاميرات الرقمية المتصلة بمركز للمعلومات، ومن مميزاته الالتزام بتحقيق أفضل معايير السلامة المرورية. إلا أن الأغلبية العظمى في مجتمعنا لا تحبه، وكلكم تعلمون هذا.. انتشرت مقاطع الفيديو للتعليق على «نظام ساهر» حتى أن البعض قالوا إن هذا تخطيط يهودي من خلاله يستطيعون مراقبة السعودية بتلك الكاميرات الرقمية. وبغض النظر عن التعليقات، أيًّا كان نوعها، تسأل نفسك لماذا احتاجت السعودية لمثل هذا النظام؟ لو كنا منضبطين بأنفسنا ومطبقين للأنظمة، هل ستأتي السعودية بهذا النظام؟!!

على حد علمي، رغم الصرف المالي الهائل من قبل وزارة الداخلية على التوعية المرورية، إلا أن التوعية، والمقصود بها أنت، لم تنجح في إرشادك إلى الطريق السليم.. والخلل ليس في وزارة الداخلية، بل قد تكون أنت أحد أسبابه بعدم اكتراثك للنظام وتطبيقه.. حقيقة؛ هل نخاف من «نظام ساهر» أكثر من مراقبة تصرفاتنا بأنفسنا؟

هل نحن ضد النظام؟

أنا مؤمن بأن النظام نابع من مراقبة أنفسنا فالمنظم أو المنتظم يستطيع أن يفعل ما يفعله غيره، ولكنه يبقى محباً ومشجعاً لاتباع النظام النابع من الضمير الحي. أما الفوضوي فحياته لا تقبل بالنظام، فذلك شعور يجعله مقيداً باتباع قرارات وأنظمة تزعجه إلى درجة التطاول بالفعل اللاأخلاقي أحياناً.. تكمن المشكلة في النظام الذي لا ينطبق على الجميع فهناك استثناءات تضر بأصحابها؛ أعتقد أن مشكلتنا في ضمائرنا وفي قلوبنا، فبعض القلوب من حجر، وفي عقولنا، فبعض العقول مغلقة.

وُضعت إشارات المرور مثلاً لتنظيم عملية السير، ولكن هناك من تعدى عملية التنظيم الخارجية إلى عملية تنظيم داخلية (أنت وضميرك)، ونجحت هذه العملية. أصبحت الكاميرا هي الرقيب الصادق الصدوق للإنسان.. فبمجرد تركيبها يصبح هناك خوف وحذر عام بين الناس من اصطيادها لهم في أي شيء يخالف فطرتهم التي فطرهم الله عليها. ومن جهة أخرى خذ مثلاً أن الأم حين تذهب إلى مدرستها غالباً ما تضع الخادمة عند الأطفال، وجميع البيت ملغم بالكاميرات حرصاً منها على سلامة أطفالها ولكن هل تحتاج هذه الأم إلى ضمير خادمتها وهي ترى موت أطفال على أيادي خادمات أو عاملات منازل؟!.. إن ما نعانيه مع غيرنا قد يكون كارثياً وذلك بعد فوات الأوان، كأن تتعامل مع شخص وتكتشف بعد وقوع المصيبة عافانا الله وإياكم منها، بأن الشخص مريض نفسي. وأتحدث هنا في كل مجالات الحياة ووظائفها..

إن كنت تطلب رأيي في الموضوع، فمن وجهة نظري: في هذا الزمن نحتاج الاثنين معاً. فمن يملك ضميراً يخاف الله لن يشعر بخوف وحذر إلا من الله، ومن لا يملك ضميراً ستجده يهرب إلى مكان لا يوجد فيه كاميرا مع العلم بأنه داخلياً يعلم أنه مراقب وأن هناك من يراه..!

13
لا ربيع بدون شتاء

ما أجمل الشتاء بنكهة المطر، وما أجمل الربيع باللون الأخضر.

ما أجملك أنتِ حين تبتسمين.. ترقصين..

هل تعلمين بأنني بك أرتقي.. أو تسألين عن حبي لكِ!

أملك من الشعور الكثير.. ومن الورد جمالاً يثير جوارحي

تتساقط قطرات المطر عشقاً لأسير

خرج بلا قيود ليرى السماء في عينيك ماء.

أنتِ حياة لي.. وقمر ينير مسائي

فلا تستغربي!

فمنذ زمن أكتب لا ربيع بدون شتاء

ولا حب يدوم بلا وفاء.

لا تبكي لتحرميني.. أهو الحنين؟

قبليني من هنا.. من هنا.. ومن هنا.. لأشعر بالكبرياء

قبليني حتى أتمنى قدوم الشتاء.

ومن ثم ترقصين اممممممممم لا.. لا.. لا

أحب النظر إليك عاشقاً في ربيع وتحت قطرات ماء.

أحبك يا أجمل ما في النساء

أهي أنوثتك.. أو قلب تعلق بنظرة عين؟

لنرتقي في الحب عطاء

قبلها واهمس لها بكلمتين

لتبتسم وتقول لك بسعادة

شكراً لقلب همس لي مرتين.

14

الأفكار السلبية

هي أحد أخطر الأمراض غير المباشرة، التي تجعل أجسامنا مقراً للأمراض المزمنة، كالضغط والسكري، وكذلك الأمراض النفسية.. وهنا أسأل من يعاني من هذا المرض؟ هل فكرت يوماً بماذا ستستفيد لو فكرت بأشياء وعوامل سلبية!.. لماذا لا تفكر بإيجابية؟ على الأقل لن تخسر شيئاً! لماذا لا تعيش وأنت متوكل على الله ومتفائل بما سيعطيك؟ فقط «احفظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ».

في حياتنا مشاكل وعقبات كثيرة لا نعرف لها سبباً، ولا نجد لها حلاًّ سوى الاستسلام والإحباط، ما يؤثر على علاقتنا بالآخرين وعلى حياتنا سواء الشخصية أو العملية.

وإذا تأملنا قليلاً في أنفسنا وسلوكياتنا علمنا أن هذه المشاكل وُجدت بأيدينا، ولا نلوم إلا أنفسنا. فهي نابعة من أفكارنا السلبية وأصبحت طبعاً فينا، ما يولد الحياة اليائسة والتي لا مخرج لها إلا الإيمان وبناء الأفكار الإيجابية.

إن التفكير السلبي من العقبات التي تعيق الإنسان عن البناء والتقدم، وهو نوع من الإيحاء الذاتي يقوم به الإنسان حيال نفسه، حيث يهمس لها ويؤكد أنه عاجز أو فاشل أو غير محبوب... وغيرها من القائمة التي لا تنتهي من الأفكار والمشاعر السلبية؛ عندما تعايش الأفكار السلبية معايشة كاملة، فإن قوتك ستصبح مشوشة تماماً.

وعليك أن تتخلص من السلبية، وضعف العزيمة، وانتقاد الذات والآخرين، واملأ عقلك بدلاً من ذلك بالأفكار البناءة للتناغم والصحة والبهجة والوئام، عندها ستتبدل حياتك. وسوف أذكر بعضاً من الأسباب المؤدية للأفكار السلبية ومنها: الانتقاد والتهكم الذي يتعرض له الفرد – الفراغ – اتخاذ أصدقاء سلبيين في أفكارهم ونظرتهم – الخوف والقلق والتردد كل ذلك يخلق شخصية مزدحمة بالأفكار السلبية.

إلا أن ما يهمني هو طريقة التخلص من الأفكار السلبية. وهنا سأذكر أموراً قد تساعدك ومنها: تحصيل الثقة بالنفس حيث نرجع أيضاً إلى التفكر والتأمل.. ألا تستطيع أن تتأمل ذاتك وماذا وهبك الله من النعم والقدرات؟ لا تقل لي إنك لا تملك شيئاً. ولماذا تصر على تضخيم عيوبك! فالكمال لله.. حاول أن تصلح من نفسك بثبات وانسجام داخلي إن أردت بناء شخصية إيجابية أيضاً يجب أن يكون لك أهداف سامية تسعى للوصول إليها، وكما قيل: «الفراغ خير صديق لكل ما هو سلبي».

إياك والاسترسال مع الانفعالات، واحذر من الغضب، وإذا اجتاحتك الأفكار السلبية، اِسترخ وابق هادئاً، وتأمل أفكارك السلبية بعين الموضوعية، تجد أنك كنت تبالغ، وتعطي الموضوع حجماً أكبر من حجمه. حاول أيضاً أن تتعلم فن تجاهل الأفكار السلبية؛ ابدأ صباحك بابتسامة ملؤها الرضا، واحرص على نفع الآخرين ومساعدتهم، ومد يد العون لهم، فإن لذلك الأثر الكبير بعد الله في التفكير السليم والإيجابي. لا تشغل نفسك بأفكار سلبية لن يحصد نتائجها إلا أنت.. وماذا بعد؟

هل تتوقع بعد أن تسقط لا سمح الله، أن هناك من يقف معك في حين أنك أنت لم تقف مع نفسك؟!

15

تطبيق مع وقف التنفيذ!

في زمن التكنولوجيا، هنالك مئات التطبيقات الحكومية وغير الحكومية، منها ما هو مخصص لمساعدة الناس وتسهيل أمورهم في الحياة في شتى المجالات. ومن المفترض أنه بلمسة زر تستطيع طلب إصلاح ما لم يكن ممكناً إصلاحه سابقاً في أشهر أو سنوات، بل وحتى طلب وتصميم الديكورات وتنسيق الحدائق وإصلاح العيوب في الطرقات.

المشكلة ليست في التطبيق نفسه، بل في عدم الدخول في إجراء التنفيذ، فأصبحت تلك التطبيقات من وجهة نظري بلا قيمة أحياناً، حيث نقف مع التكنولوجيا ولا نسير معها، فنحن لسنا صادقين في خدمة الناس بل نتظاهر بذلك.. ويقال لك (يجب عليك مراجعتنا). مازلنا نقف بينما يمر الوقت بنا سريعاً، فلا قيمة للوقت عندنا.

قد يتفق البعض معي أو يختلفون بأنه، وبالرغم من التكنولوجيا المتطورة والحديثة، إلا أننا في عالمنا العربي لم نستفد من التكنولوجيا الحديثة بالشكل المطلوب، فما زلنا متذبذبين.. تخيل معي أن الطبقة الفقيرة وغير القادرة على خدمة نفسها لسبب أو لآخر، لو استطعت أنت أن تعمل لها عملاً لم تعمله الحكومة أو أي جهة خيرية منذ سنوات، وذلك من خلال تطبيق، لكن بشرط إجراء التنفيذ، كأن يعد ويقدم التطبيق نوعاً من أنواع المساعدة. ومثال ذلك تطبيق يُعنى بجمع التبرعات، أو بخلق فرص للعمل، أو الاعتماد على النفس، أو بناء منازل يعيش فيها الإنسان بكرامة بدل أن يعيش معها بقمامة، أجلّكم الله.. أو عمل دورات وبرامج تذكيريه تدريبية تأهيلية؛

هناك من الأفكار والأمور التي قد تنهض بآلاف الناس وتبقى بصمة إن نسيها الناس فلن ينساها لك رب الناس.

«بنك الفقراء» تجربة تستحق التوقف عندها وتأملها، وصاحبها الدكتور محمد يونس الحاصل جائزة نوبل في الاقتصاد يستحق الإشادة، وفي تصريحات حديثة له قال: بنك الفقراء.. هدفه الرئيسي مساعدة الناس والنظر إلى الناحية الاجتماعية وليس المادية والاقتصادية، حيث يقرض البنك عملاءه من دون فوائد ولا يلاحقهم لمطالبتهم بسدادها، مشيراً إلى أن المقترض يعلم أن مبالغ القرض التي سيسددها ستذهب لمساعدة شخص آخر يعيش الظروف وحالة الفقر نفسها.

تأمل تجد أنك إنْ لم تسدد المبلغ فلن يطالبوك بسداده. فهذه الفكرة جاءت بعد توفيق الله لهدف سامٍ، فإن لم تسدد المبلغ ولم تشعر أن أخاك بحاجة مثلما كنت في حاجة سيتوقف هذا البنك عن الدعم ولو بعد زمن.. وابحث بعدها عمن يقرضك ولن تجد إلا من يطالبك يا صديقي. وفي المثل الصيني: «لا تعطني سمكة ولكن علمني كيف أصطاد»، مثال لتعليم الأجيال التطبيقات والتكنولوجيا التي قد تعم فائدة أحدها الجميع ودون استثناء مع إجراء التنفيذ.

اختر من الطرق ما هو بحاجة إلى تصليح فليس الجميع يمشون على قدمين. ارسم بسمة، ألف كتاباً، تبرع بضغطة زر.. وأن رأيت حفرة في طريق فحاول أن تردمها فقد تنال الدعوات الطيبة، بدل أن تفتح التطبيق وتقدم بلاغاً ولا حياة لمن تنادي.

Google map اتبعه ليس إلى مكان ترغبه بل إلى مكان لا ترغب الوصول إليه، لتضيف تحديثات سوف تراها نجوماً في سمائك يوماً ما إن احتجتها.

16
تأثرك بمن حولك!..

في مرحلة الطفولة عندما يصطحب الأب والأم أولادهما ليلاعباهم تجد هؤلاء الأطفال يتأثرون بما يفعله آباؤهم وأمهاتهم وينمو معهم هذا التأثر سواء أكان سلبياً أو إيجابياً. إلا أن هذا التأثر يبدأ بالتلاشي شيئاً فشيئاً لتأتي مرحلة الشباب والمراهقة، فيتأثرون بمن حولهم من أصحاب. ومن دون أن يشعروا يذهب التأثير والإعجاب الأبوي الداخلي النامي في نفوسهم. فأين يذهب؟ وما مدى تأثرنا بمن حولنا؟

إن تأثرنا بمن حولنا يتدرج شيئاً فشيئاً بمرور الوقت، إلى أن نرى أنفسنا في المرآة وقد أصبحنا أشخاصاً آخرين.

فالشخصية تتأثر بالتربية بعد الله، وعليه قد يكون المرء مؤثراً أو متأثراً وشتان ما بين الأمرين. لا أنكر أنك ومهما تكن مؤثراً وصاحب شخصية رائعة سوف يتغلغل تأثرك بمن حولك إلى داخلك دون أن تشعر، أضف إلى هذا، ولأنك مؤثر، قد تكون مستهدفاً ليجعلوك متأثراً بهم. وأكثر من يكونون حولنا هم أصحابنا فكما يُقال إن «الصاحب ساحب» وأيضاً كما قيل.. قل لي «من تصاحب أقل لك من أنت».

قد تشتاق أحياناً إلى ما كانت عليه شخصيتك وطباعك في طفولتك وخاصةً عندما تسترجع جزءاً من ذكرياتك الباقية في ذاكرتك أو على أشرطة فيديو أو في ألبوم صور. عندما كنت في

الخامسة عشرة من عمري كان لي أصدقاء مقربون وكنت ألعب كرة القدم معهم. وكنا متأثرين باللاعب الكبير والمحترم ماجد أحمد عبد الله، لاعب فريق النصر السعودي؛ لقد كنت مهاجماً وكان أغلب من أعرفهم وقتها يقومون بتقليده في طريقة رفع يده عند إحرازه هدفاً، وفي طريقته في ربط حذائه، بل حتى في مشيته. لقد كان بحق أسطورة بلعبه وبأخلاقه.

التأثير قد يكون بالسلب أو بالإيجاب، فإن كان إيجابياً سوف ترى نفسك في المرآة وتبتسم، أما إذا كان سلبياً فهنا أتحدث عن الاشتياق لروعتك السابقة.. لن تشتاق إلى عادات وطباع سلبية مثلاً كانت فيك بل ستشتاق إلى جميع الخصل الرائعة والجميلة التي كانت أو مازالت تميزك.. عندما تتأمل في هذه الدنيا، بماضيها وحاضرها، تجد أن من حولك وجب عليك أن تختارهم بعناية أو على الأقل تأخذ منهم الأساليب النافعة وتستفيد منها لتطبقها في حياتك فليس شرطاً أن يكون التأثير سلبياً دائماً، فنحن بحاجة إلى المتميزين عقلاً وخلقاً، وللمتحدثين أدباً وذوقاً، وكما قيل لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي.

استمر الكاتب الأميركي ديل كارنيجي – الذي يعتبر من أهم المؤلفين – في كتابه «كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس» بطرح الأساليب بعد تجارب استمرت لأكثر من ثلاثين عاماً:

الأسلوب الأول: الابتعاد عن الجدال

الأسلوب الثاني: تجنب الغضب والانفعال

الأسلوب الثالث: الكلمة الطيبة أكثر تأثيراً

الأسلوب الرابع: لا تتمسّك بخطئك

الأسلوب الخامس: الصدق أقصر طريق لكسب ثقة الآخرين

الأسلوب السادس: امتنع عن استخدام كلمة «لا»

الأسلوب السابع: التكبّر هو أسوأ صفة يتحلى بها الإنسان

إنها أساليب للتأثير أو لتكون مؤثراً بشكل إيجابي في من حولك أيضاً ولكني أوردت جزءاً مما قرأته، وهناك الكثير. ألا تلاحظ شيئاً وهو أن هذه الأساليب هي نفسها التي طرحها القرآن

الكريم. أليس كذلك؟!.. نحن نملك كتاباً عظيماً من ربٍ كريم.. ولكننا نحن قوم لا نقرأ أو بمعنى أصح لا نتفكر بما نقرأ؛ حقيقة لا يمكن إنكارها: القرآن الكريم علم لكل شيء ومنهج حياة لكل إنسان.

17
الصمت في زمن الثرثرة

يُقال إن الصمت أقوى لغات العالم، وباعتباري أتحدث هنا عن الصمت، فالصمت ليس محموداً على الإطلاق والكلام أيضاً، بل يبقى لكل مقام مقال؛ ولعلي أبين ما أقصد بحديث لمعلمنا وقدوتنا رسول الله ﷺ حيث قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

فليقل خيراً أو ليصمت، قال النووي رحمه الله: معناه أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان ما يتكلم به خيراً محققاً يُثاب عليه واجباً أو مندوباً، فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يُثاب عليه، فليُمسِكْ عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوى الطرفين. فعلى هذا يكون الكلام المباح مأموراً بتركه، مندوباً إلى الإمساك عنه؛ مخافة من انجراره إلى المحرم أو المكروه. وهذا يقع في العادة كثيراً أو غالباً، وقد قال الله تعالى: {**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**}.

قيل قديماً: إذا تمَّ العقل نقص الكلام. وقيل أيضاً: الصمت زينة بدون حلية، وهيبة بدون سلطان، وحصن بدون حائط.

وللأسف، لا أبالغ إذا قلت: لقد كثر الكلام في هذا الزمن وانهال على الإنسان الصامت بعض الأوصاف الساخرة التي تقول إنه معقّد ومغلق ومحدود الفكر، حيث يُصفّق دائماً لمن يتحدث أكثر، ويصفونه بالمنفتح والحاضر اجتماعياً وواسع الأفق. وهنا أتساءل: هل نحن في زمن قلب الحقائق وتبدل المفاهيم الراسخة على مر العصور أم أننا بحاجة إلى مراجعة أنفسنا وذواتنا؟! فالصمت يجمع بين خمسة أخلاق عظيمة كما قيل وخذ أمثلة على ذلك:

عندما لا تقتنع بكلام الشخص الذي أمامك وخاصة الأكبر سناً.. يكون الصمت «احتراماً».

عندما يتجاهلك عزيز ليلتفت إلى أولويات أخرى.. يكون الصمت «ألماً».

عندما يجرحك شخص وتذهب لتبكي بمفردك.. يكون الصمت «قهراً».

عندما تشعر أن قلبك أصبح ضعيفاً لا يحتمل الألم.. يكون الصمت «خنقاً».

عندما يتلفظ الذي أمامك بكلمات جارحة.. يكون الصمت «قوة».

اعمل أكثر مما تتكلم، فالصامتون من خير أهل الأرض.. هم من يصنعون التغيير ويضيفون كثيراً في عصر الثرثرة. فالصمت يمنحك طاقة قوية للتفكّر في كل ما يحصل حولك والتركيز بعقلانية على إجاباتك. عندما ترى تصرفاً ما أزعجك، إن كنت تستطيع إصلاحه فافعل ومن ثم تكلم وانتقد؛ وخذ مثالاً بسيطاً مثل رمي بقايا الطعام على الطريق، قليلون من أراهم يلتقطون بقايا الطعام من الأرض ويضعونها في المكان المخصص أو في القمامة وتجد كثيرين ينتقدون من غير فعل.. ماذا لو التقطها بصمت ووضعها في مكانها المخصص ومن ثم انتقد؟!.. وقس على هذه الأشياء أمثلة أخرى كثيرة قد تراها مزعجة في مجتمع مسلم لا يعمل بأولويات، ولا مبادئ حياة.

هناك أشياء قد تكون بسيطة في الحياة ولكنها تشكل فارقاً كبيراً، فأنت بهذا العمل الطيب تكون قد عملت بصمت ولك الأجر إن شاء الله. وماذا لو رآك طفل أو شاب وقام بعملك ولو بعد حين.. سوف يكون له الأثر الطيب في مجتمعنا. قال رسول الله ﷺ: «من صمت نجا»؛ وقال الغزالي: من تأمل جميع آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم، وعند ذلك يعرف سر قوله ﷺ: «من صمت نجا». وعن أبي الدرداء قال: تعلموا الصمت كما تتعلمون الكلام، فإنَّ الصمت حلم عظيم، وكن إلى أن تسمع أحرص منك إلى أن تتكلم، ولا تتكلم في شيء لا يعنيك، ولا تكن مضحاكاً من غير عجب، ولا مشَّاءً إلى غير أرب.

18

كلكم راعٍ

هذا العنوان يلخص موضوعاً من أهم المواضيع الكبيرة والمهمة جداً. فرغم وجود أساتذة متخصصين في علم التربية ورغم كثرة الكتب والبرامج التلفزيونية والمسموعة في التربية، ومحاولة أساتذة كبار توعية المجتمع العربي عموماً، إلا أن هناك من لا يسمع ولا يعقل ولا يشعر بعظيم المسؤولية. ولهذا فإني سأكتب تذكيراً بمسؤولية الوالدين وأهميتهما في تربية الأبناء اقتداء بسنة نبينا عليه أفضل الصلاة والتسليم.

عن ابن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته».

وهناك آباء تخلّوا عن التربية فتجد أحدهم يقول إن الأم هي من تربي في حين يقتصر دوره على قضاء حاجات عائلته اليومية دون مشاركة مع الأم. وبالمناسبة أذكر أنه أتى رجل ذات يوم إلى مجلس وقال أثناء الجلسة لأحدهم: «لماذا لا تنتبه إلى أولادك»، وقد كان يعاتبه لإهماله لهم ولعدم معرفته أين يذهبون ومن يصاحبون؟! فأجاب الرجل إجابه صاعقه حين قال: «الشوارع تربيهم».

نعم، لا تستغرب! فهناك عقليات من الناس يصعب التعامل معها أو حتى فهمها للواجبات والحقوق التي لهم أو عليهم.. فحياة معظمهم قائمة طعام غير نافع وفكر غير ناضج وضمير غير مبالٍ.

موضوع التربية موضوع حساس جداً ومهم، ونحن تخلينا عن مسؤولياتنا لغيرنا من الخادمات والعاملين في بيوتنا.. بل إن البعض يغيب عن البيت لمدة كبيرة، بالشهور أحياناً.. يركض وراء ماله وينسى بأن الأبناء رأس المال، والبعض وجوده بالبيت مثل عدمه فلا تكاد تشعر بروح العائلة الواحدة والابتسامة تملأ محيا الجميع.. أين كنا وأين أصبحنا اليوم؟ هل أصبحنا عبيداً للتكنولوجيا؟! إليكم هذه القصة:

طلبت معلمة من الأطفال في المدرسة أن يكتبوا موضوعاً يطلبون فيه من الله أن يعطيهم ما يتمنون! وبعد عودتها إلى المنزل جلست تقرأ ما كتب التلاميذ فأثار أحد المواضيع عاطفتها فأجهشت بالبكاء، وصادف ذلك دخول زوجها البيت فسألها: ما الذي يبكيكِ؟ فقالت: موضوع في التعبير كتبه أحد التلاميذ. فسألها: وماذا كتب؟! فقالت له: خذ اقرأ موضوعه بنفسك! فأخذ يقرأ:

«إلهي... أسألك هذا المساء طلباً خاصًّا جداً وهو أن تجعلني تلفازاً!!! فأنا أريد أن أحل محله! أريد أن أحتل مكاناً خاصاً في البيت! تتحلَّق أسرتي حولي وأصبح مركز اهتمامهم فيسمعونني دون مقاطعة أو توجيه أسئلة. أريد أن أحظى بالعناية التي يحظى بها حتى وهو لا يعمل! أريد أن أكون مع أبي عندما يصل من العمل ولو كان مرهقاً، وأريد من أمي أن تجلس بصحبتي حتى وهي منزعجة أو حزينة، وأريد من إخوتي وأخواتي أن يتخاصموا ليختار كل منهم صحبتي.. أريد أن أشعر بأن أسرتي تترك كل شيء جانباً لتقضي وقتها معي. وأخيراً وليس آخراً، أريد منك يا إلهي أن تقدّرني على إسعادهم جميعاً.. يا ربِّ إني لا أطلب منك الكثير، أريد فقط أن أعيش مثل أي تلفاز!!».

انتهى الزوج من قراءة موضوع التلميذ وقال: يا إلهي، إنه فعلاً طفل مسكين، ما أسوأ أبويه!! فبكت المعلمة مرةً أُخْرَىْ وقالت: إنَّه الموضوع الذي كتبه ولدنا.

تذكرت حينها قصة ذاك البروفيسور الإنجليزي الذي لم يدخل التلفاز بيته ولما سُئِلَ عن السبب قال: لأن التلفاز يفرض علينا رأيه ولا يسمح لنا بمناقشته، ويُنَغِّصُ عَلَيْنَا حَيَاتَنَا.

أجمل شيء فينا بساطتنا وحبنا بعضنا لبعض. فقد كنا نشترك جميعاً في التربية، بمعنى أنه إذا غاب الأب مثلاً والأم مشغولة تجد الأخت الكبرى تنهى أخاها أو أختها عن تصرف لا يليق أو عمل غير جيد.. لقد كانت قلوبنا قلباً واحداً، وضمائرنا ضميراً واحداً، وأحاسيسنا إحساساً واحداً في بيت واحد.. كانت التربية والحياة البسيطة الطيبة تجلب السعادة. ورغم التطور الحاصل في هذا الزمن لإسعادنا بتطبيقات وألعاب وبرامج متنوعة، إلا أنني أميل إلى أن نكون مجموعة عائلة يجمعها قلب واحد.

لقد كانت تمطر ونحن في استراحة، وقد توقف المطر، فخرجنا. وإذ بأحدنا يشعل النار والآخر يضبط الجلسة، فالسماء غائمة يزينها قوس قزح؛ جلسنا نمازح بعضنا بعضاً ونضحك، فقلت لهم: ما رأيكم بأن اعمل لكم قهوة أفضل من قهوة الدكتور CAFE–DR ؟! وأثناء شرب القهوة كنت ألفت نظرهم إلى السماء فأقول: انظروا، سبحان الله كيف رفع السماء بلا عمد، وكيف جعل السحاب الثقال معلقة.. وانظروا إلى ألوان قوس قوزح ما أجملها.. أحسست بتنهديه الجميع ومن ثم قالوا: يا الله نسألك الجنة ونعوذ بك من النار.

لقد علمتهم بطريقة غير مباشرة كيف يتفكرون مثلاً وهي عبادة لها فوائد عظيمة وتزرع الإيمان في قلوبنا..

إن لتربية الأبناء من قِبَل الوالدين شأناً عظيماً يجب أن تعمل من أجلهم.. وكيف لا تسقي شجرة سوف تعود ثمارها لك يوماً ما.

وأفضل ما يصنع الشخصيّة السويّة في الطفل هو حسن القدوة والقرب العاطفي من الآباء، لا سيما في مراحل عمرهم الأولى.

19
اللغة العربية هويتي بفخر واعتزاز

هي إحدى أكثر اللغات انتشاراً في العالم، يتحدثها أكثر من 422 مليون نسمة. إن لِلُّغة قيمة جوهرية في حياة كل أمة فهي الأداة التي تحمل الأفكار وتنقل المفاهيم فتُقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة. لا يدرك كثيرون أهمية اللغة العربية في حياة الشعوب ولا يدركون أن حفظ اللغة وضمان استمراريتها يكون بقدر محافظتنا عليها كأفراد ناطقين بها. ولذا، فإن عدم إدراك هذا الأمر كان سبباً في انقراض كثير من اللغات واللهجات في العالم.

إن المتجول في بعض فنادق ومطاعم الدول العربية والخليجية عموماً يلاحظ أن اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية التي تطالعنا في معظم تلك الأماكن وأن اللغة العربية أضحت وكأنها في حالة انقراض رغم أنها في دول عربية يفترض بشعوبها أن يهتموا بهذه اللغة ويجعلوها هي الأساس في الاستخدام ومن ثم اللغات الأخرى.

الشعوب تتمسك بلغاتها وتحرص على استمراريتها ولا يتنازلوا عن التخاطب بها في حين نتخلى نحن العرب عن لغتنا للأسف.

اللغة العربية مسؤولية كل ناطق بها، والتهاون في استخدامها هو إيذان بانقراضها. فأهمية اللغة لا تكمن في كونها وسيلة تخاطب فقط، لكنها عنوان هوية ودليل وجود. أن تتعلم لغة قوم آخرين فهذا شيء جيد، وكما قيل: من تعلم لغة قوم أمن مكرهم! ولكن الأمر السيئ أن نكون عرباً في بلاد العرب، ونتكلم الإنجليزية حيث يعتقد البعض أنها من باب الوجاهة و«الكشخة» كما في

مصطلحنا العامي. المشكلة أننا خلطنا الأمور بعضها ببعض، فلم نعد نميز بين المهم والأهم.. بين الجيد والسيئ، وذلك في شتى مناحي حياتنا، ولم يقتصر الأمر على اللغة فقط. لذا دعوني أقول إن اللغة الإنجليزية – كما وصفها أحد الكُتَّاب – هي (لمامة من الطرق)! فالآلاف من مفرداتها فرنسية وألمانية الأصل، ومن مفرداتها الأخرى ما لا يُعْرف أصله.. كما أنها تعرضت للتحوير الكبير والتبديل على مر القرون، فالإنجليزي لا يمكن أن يفهم كلام أسلافه في العصور القديمة!

أما اللغة للعربية فتمتاز بالإيجاز، صفة واضحة ومميزة فيها، فنستطيع بهذه الميزة إتمام المعنى المراد بعدد قليل من الألفاظ، أو تكثيف الكثير من المعاني بعدد قليل من المفردات والألفاظ. فعلى سبيل المثال، لو أردنا ترجمة كتاب من اللغة الإنجليزية إلى العربية فمن المؤكد أن حجمه سينقص بشكل ملحوظ بعد الترجمة. كما أن اللغة العربية هي بحر زاخر من الألفاظ والمعاني والتراكيب فهي أوسع لغات العالم بالمفردات والتراكيب وفيها مدرج صوتي واسع.

إن اعتزازي باللغة العربية ليس له حد بل أفتخر بأنني عربي أقرأ القرآن الكريم وأتحدث به. وبالمناسبة أذكر أنني ذهبت إلى معرض الرياض الدولي للكتاب مع زوجتي لمشاهدة بعض الكتب وشرائها، وعندما اشتريت الكتب ذهبت لأتجول في المعرض لفتت نظري لوحة مرسومة مكتوب فيها أنا عربي.. شدتني هذه الصورة كثيراً، وطلبت من زوجتي أن تأخذ لي صورة بجانبها. أحسست بشعور رائع وفي الوقت نفسه أحسست أن هذه اللغة ظُلِمت من أهلها، ولكنني ما زلت، والقليل معي بجانبها، نعتز ونتحدث ونعمل بها لنبقى وتبقى هويتنا.



الشكر موصول للأخ مازن أنديجاني صاحب هذه اللوحة.

20
فن الإصغاء

لا تقاطع كلام غيرك وعليك بحسن الاستماع إذ إن عدم القدرة على الإصغاء إلى الآخر يعتبر مشكلة قائمة بين البشر. منذ صغرنا لم نتعود الحوار السليم ولم نتعلم الأسس السليمة للحوار. ولكن لماذا نواجه صعوبة في الإصغاء إلى الآخر؟

إن عدم قدرة الشخص على التواصل والإصغاء يدخل في صلب العلاقات على صعيد العلاقة الزوجية أو العائلية أو الصداقات؛ إن هذا الفن أصبح مغيباً في مجتمعنا نظراً لانشغال أغلب الأسر والمؤسسات بفنون الكلام والتواصل، وانظر من حولك ترَ ما وصلنا إليه؟!

أذكر أنني قرأت قصة في هذا الموضوع، وهي قصة حقيقية حُولت إلى (فيلم) تتحدث عن شاب أمريكي، تحول من عامل لغسيل الصحون في أحد المطاعم إلى معالج نفسي شهير. والسبب وراء ذلك يعود إلى ميزة يتمتع بها هذا الشاب وهي (فن الإصغاء).

لقد اكتشف هذا الشاب أن لديه مهارة ذاتية يحل بها مشاكل كثير من زملائه وأصدقائه بمجرد طرحها عليه. فكان دوره في كل مرة هو الإصغاء، ولا شيء سوى الإصغاء مع استخدام تعابير الوجه. فلو دمعت عينا زميله دمعت عيناه، ولو ضحك زميله ضحك هو؛ فكانت تتحسَّن أحوال من يأتون إليه بمجرد أن ينصت إليهم وهو ما نسميه عندنا (الفضفضة).

ثم بعد ذلك طرأت عليه فكرة أن يكون معالجاً نفسياً؛ وبعد فترة قام بتزوير شهادة (معالج نفسي) وترك بلدته إلى بلدة أخرى حتى لا ينكشف أمره وكسب من ذلك الملايين إلى أن اكتُشف

أمرُه ورُفعت أوراقه للمحكمة. ولكن خُفِّف عليه الحكم بسبب وقفة المرضى الذين عالجهم، وشُفُوا على يده.

بالرغم من هذا الخطأ الذي وقع فيه الشاب ليكون معالجاً نفسياً إلا أن فن الإصغاء فن جميل وراقٍ لا يتقنه إلا قليلون.. لو استمر هذا الشاب بعمله من غير تزوير لأجل المال فالمال سيأتيه حتماً بسبب إسعاده لأناس كثر.

أصغِ إلى كل شيء في الوجود.. خرجت في أحد الأيام الماطرة، وفي فصل الربيع تحديداً، من المدينة التي أسكنها وتوجهت نحو مكان خالٍ لا يوجد فيه أحد سوى بعض قطرات مطر وقليل من الشجر والخزامى ثم جلست أشتم رائحة الخزامى وأنظر إلى السماء لتسقط على وجهي قطرات ماء واستلقيت مع نسمة هواء.. كل هذا فقط لأصغي إلى صوتٍ جميل وأطير بفكري إلى هدوء وراحة بال ومن ثم أرجع إلى بيتي مشحوناً بحبٍّ كبير.

ومما يلاحظ أن كثيراً من المجالس مع الآخرين لا تُراعى فيها آداب الاستماع، وحسن الإنصات، فما أن يبدأ شخص ما بطرح فكرة معيَّنة حتى يقوم آخر باقتحام الحديث عليه. والأشرُّ من ذلك أن يسكته، ويُكمل هو ويُمسك بدفة الحديث ولا يبالي بمشاعر المتحدِّث.. ولنا في رسولنا ﷺ أسوة حسنة، فما قاطع متحدثاً قط حتى مع المخالفين له في الرأي والاعتقاد. كان يسمع وبعد أن ينتهوا.. يرد عليهم بما يناسبهم؛ وقد وجه القرآن إلى المسلمين الأمر بالإنصات أمام القرآن للتفكر والتدبرونيل الرحمة والهداية. قال تعالى: {**وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**}.

21

كن راجياً

أدعو الله أن يمنحني الحكمة، والصحة، والقوة، والسعادة، والعطاء، وسعة البال، والصبر، والرزق، والإخلاص بالقول والعمل. كنت وقد تكون في زمن مضى، قريب أو بعيد. عندما أعطانا ابتعدنا وعندما أنعم علينا نسينا بل أسرفنا. نمشي على الأرض باختيال، وكأننا سوف نبلغ قوة الجبال. عندما تتأمل تشتاق إلى رجال كلما أنعم الله عليهم زادهم إيماناً، وقرباً، وعطاءً، وحبًّا، وشعوراً بالمسؤولية، بعيداً عن النفاق والكذب والدجل، كانوا يرجون ما عند الله في الرخاء والشدة.. واليوم ترجو الله أن تكون صاحب القلب النظيف، واللسان الطيب، والعقل الحكيم، والجسد الصحيح، لا تحتاج إلى قريب أو بعيد، وقبل هذا وذاك أن تكون راضياً عن نفسك تمام الرضا.

نعم، إن رضي الله عنك فستكون أسعد إنسان على وجه الأرض، فقط اعمل بإحسان في أمور دينك ودنياك، وانظر دائماً إلى الجانب المشرق من الحياة. اجلس على سجادتك، وانظر إلى السماء، وادعُ الله وارجُه بما تشاء. ابتعد عن القيل والقال، وعن مخالطة من هم في القاع، وارتقِ بنفسك لتكون دائم الرجاء والشكر وبذلك تكون منارةً للحب والسلام.

كتبت هذا العنوان وأنا أعلم يقيناً أهميته، فالرجاء غالباً ما يرد مقروناً بالخوف أو بأحد معانيه، حيث ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: {**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**}. كما ورد أيضاً في السنّة الشريفة، حيث ذُكر أن رسول الله ﷺ دخل على شاب وهو في سياق الموت فقال: كيف تجدك؟

فقال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد، في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف».

وقد جاء في أخبار النبي يعقوب عليه السلام «إن الله تعالى أوحى إليه: أتدري لِمَ فرقت بينك وبين يوسف عليه السلام هذه المدة؟ قال: لا، قال: لقولك لإخوته أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لِمَ خِفت الذئب عليه ولم ترجني له؟ ولِمَ نظرت إلى غفلة إخوته عنه ولم تنظر إلى حفظي له؟ ومِن سِبْقِ عنايتي بك أني جعلت نفسي عندك أرحم الراحمين فرجوتني، ولولا ذلك لكنت أجعل نفسي عندك أبخل الباخلين». أبعد هذا نرجو غير الله؟ اسأل نفسك وقيّمها، ثم قوّمها على الصراط المستقيم وعلى الفكر السليم.

الرجاء هو الاستبشار والثقة بجود الله عزّ وجلّ، وفضله، والارتياح لمطالعة كرمه ومنّته. وكما قيل: هناك فرق بين الرجاء والتمني. وسأذكر لك الفرق لتعلم أنت أي طريق تسلك.

الرجاء كحال رجل شق الأرض، وسوّاها، وبذرها، وحرثها، وتعهّدها بالسقيا والماء، وأبعد عنها الآفات، وجلس ينتظر حصول الثمرة ونماء الزرع. هذا صاحب رجاء، فهو يرجو رحمة الله وثوابه بعد بذل الأسباب.

أما التمني فقد يُطلق عليه «رجاء غير شرعي»؛ يكون مع الكسل فلا يسلك صاحبه طريق الجد والاجتهاد ولا يبذل جهداً ولا توكلاً. فهذا حال من يتمنى أن ينبت الزرع بدون أن يبذل جهداً وصاحبه مفلس.

الرجاء ضروري لكل إنسان في هذه الحياة، لأن المسلم يدور ما بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعملٍ صالح يرجو قبوله، واستقامةٍ، يرجو حصولها وثباتها، وقربٍ من الله يرجو الوصول إليه. لذلك كان الرجاء من أقوى الأسباب التي تعين المرء على السير إلى ربه والثبات على الدين.

إخواني، أخواتي الأعزاء، عزيزي القارئ، أغمض عينيك للحظة، ثم تنفس بعمق، وستطرد كل شيء سلبي في حياتك، ثم بعد مراجعتك لنفسك وتغييرها للأفضل كن راجياً لله أن يعينك، ويهديك، ويسعدك في الدارين لتعيش راجياً الله ومستشعراً حبه ورحمته وعظمته أيضاً.

22
لا تربط سعادتك بما ينقصك

يقول المؤلف الأيرلندي جورج برنارد شو: لا تربط سعادتك بشخص أو شيء، فالأشخاص راحلون والأشياء لا تدوم.

فعلاً الأشخاص راحلون والأشياء مهما تكن قيمتها لا تدم. هنا أسأل: لماذا لا يريد أغلب الناس أن يكونوا سعداء إلا بوجود شخص في حياتهم أو شيء يتمنون حصوله؟! لماذا لا يرون ماذا أعطاهم الله، وبدل أن تكون نظرتهم قصيرة لماذا لا تكون شمولية وبعيدة.

فعلى سبيل المثال، قد يحرمك الله أشياء لن تكون في صالحك إن أعطيت لك الآن، لذلك لا تربط سعادتك بما ينقصك، وتأمل خيراً. وقد يبتليك الله ويعطيك شيئاً لا ترغبه أو لا تحبه. عش حياتك دائماً بما تملك وليس بما لا تملك، وتأقلم مع وضعك، فنظرتك للأشخاص وللأشياء على حد سواء ليست بأهم من نظرتك بعين الرضا والشكر لله.

تعلمنا كثيراً في هذه الحياة، والفضل لله دائماً وأبداً، تعملنا كيف نعيش سعداء، وتعلمنا أن نرى الحياة بأمل، وأن نستشعر النعم التي أنعم الله علينا بها. لم ولن ألتفت لغيري، فالله يرزق من يشاء بغير حساب. رزقك لن يأخذه غيرك لذلك لا تربط سعادتك بما ينقصك، ألمك لن يشعر به غيرك، لذلك لا تربط سعادتك بما ينقصك، فالجميع يمرون بما نمر به من هموم وأحزان وابتلاء سواء أكانوا أغنياء أم فقراء، الجميع يقولون: ليتني.. ويا ريت.. ويا حظ!!

القناعة كنز لا يفنى، وما دمت وصلت إلى القناعة فأنت وصلت إلى الشيء الصحيح وحتماً أنت مرتاح البال. فجميعنا أرواح وأتينا من مصدر واحد، ونحن نفخة من روح الله، وطالما نحن نفخة من روح الله فيا لها من قوة هائلة نمتلكها، ونسخرها لما نريد، والأهم في الخير. فإذا كان مرادك في شر سيكون نجاحك وهمياً يختفي سريعاً، فنية الخير أقوى بكثير من نية الشر التي لن تصل إلى مكان.

إخواني، أخواتي الأعزاء.. يجب أن نستشعر أهمية الاكتفاء الذاتي بالرضا والسعادة التي تصدر بلا سبب وبلا أشخاص وتكون غير مشروطة. نعم، غير مشروطة؛ لا يشترط عمر ولا ظرف ولا بيئة ولا مرحلة. ظروفك شيء ومشاعرك شيء آخر، إذا تأثرت بالظرف ستجذب مزيداً من الظروف الصعبة لأن «المتشابهات في الكون تتجاذب»، تكون في ذبذبات منخفضة تجذب مزيداً منها. الكون يأخذ أوامرنا مما نصدره من ذبذبات، فأصلح ما بداخلك، وأجعله نظيفاً جميلاً فتجذب شبيهه، وادعُ للآخرين بالزيادة والتوفيق لتقول لك الملائكة ولك بالمثل.

ما دمت أنت وأحبابك على قيد الحياة فالباقي من الظروف لا يهم. كل شيء برحمة الله سيتحقق، كل شيء سينتهي، وكل شيء يحمل فرصة وبداية جديدة. فقط اشعر بالامتنان لنعم الله عليك جميعاً، ولا تقف عند الجانب الصعب فيها، صدقني لا يهم ما يحدث، المهم تفسيرك له.

لا تربط سعادتك بوظيفة أو مال ولا تجعل سعادتك تعتمد على أشخاص، بل اربطها بذاتك في تعاملك الإيجابي مع نفسك. جدد حياتك، وابحث عن المعرفة والتفاؤل، ادعُ بالبركة، اشعر بامتنان لكل الناجحين، اتبع الخطوات نفسها، تابع إنجازاتهم الجديدة ولا تتهرب من سماع أخبار الناجحين والمتميزين بالحياة وبطريقة تفكيرهم. ستشعر حينها براحة كبيرة وستكون في مجالهم الطاقي نفسه، لتبني مساراً طاقياً يمتد منك إليهم، ومن خلال هذا المسار تنتقل إليك ذبذبات طاقتهم العالية لتصبح مثلهم.

23

لِمَ كل هذا التعقيد والتنفير؟

لماذا يحب بعض الناس تعقيد الأمور رغم بساطتها ووضوحها، ويعشقون فرضها بعصبية لا تردد فيها، وبهمجية مقيتة؟

لقد أسلمت ممثلة إيطالية بسبب البساطة والسماحة، ومشهد الناس الطيبين يدخلون في بساطة إلى صحن المسجد المتواضع ويصلون في خشوع. لقد فعل ذلك في نفسها فعل السحر؛ انشرح صدر هذه المرأة للإسلام، لسماحته وبساطته، والنفس بطبيعتها تميل لليسر والبساطة، لا للعسر والتعقيد. فحياة الإيمان، كما يقول الأستاذ سيد قطب، هي اليسر والاستقامة والقصد، فما بالنا إذاً نجد هذا التعقيد في حياتنا؟!

تعقيد في الأكل واللباس، وفي الزواج والعزاء، وفي طريقة التفكير، بل وحتى في فهم الدين؟! يقول ابن القيم: إن تعقيد الغذاء ينتج عنه تعقيد المرض، وهذا يحتاج إلى دواء مركب معقّد. إذاً فالتعقيد يولد تعقيداً، فلماذا سلكنا طريق التعقيد في حياتنا وتعاملاتنا؟!

نحن مثلاً لا نتعامل مع الطعام على أنه وسيلة نتقوى بها لتحقيق الغاية التي خُلقنا من أجلها، فنحن نهدر الأوقات والأموال من أجل الطعام، لتحضيره ومعرفة كميته ووقته. الأمر لا يحتاج إلى كل هذا التعقيد، فإن اخترتَ الجودة العالية وأكلت باعتدال، حصلت على نتائج طيبة بإذن الله. الاعتدال في كل شيء محمود؛ فالطعام ليس غاية في حدّ ذاته ونحن ما خُلقنا لنجعل الأكل في أول سلم اهتماماتنا.

أما تعقيدات الزواج فحدِّث ولا حرج، فالأمر لم يعد يُطاق، ما أدى إلى عزوف كثير من الشباب عن الزواج لتكاليفه الباهظة. وأنا أتساءل: هل لبس فستان العرس، وحجز الصالات، والمغالاة في المهور، وفرش البيت بما لا يلزم من تحف وكماليات وغيرها من طقوس الأفراح في هذا الزمان، أمور مفروضة واجبة التنفيذ؟! أليس بالإمكان التنازل عن بعض الأشياء المعقّدة والمكلفة، وجعل الزواج أيسر وأبسط بدلاً من هذه التعقيدات؟! فما قيمة هذا كله إن شقيت الزوجة بزوجها أو إن ابتلي الزوج بزوجة لئيمة تنكّد عليه عيشه؟

لقد كانت حياة النبي عليه الصلاة والسلام، والصحابة ، تتسم بالبساطة واليسر والسهولة؛ وما خُيِّر النبي عليه السلام بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً؛ فليست الشطارة بالتعقيد ولكن بالإيمان الصحيح والفهم الدقيق والعميق. فهذا الإمام الشافعي يُسأل: ما الدليل على وحدانية الله؟ ورقة التوت تأكلها الدودة فتخرجها حريراً، ويأكلها الغزال فيخرجها مسكاً. فيقول: وتأكلها النحلة فتخرجها عسلاً، وتأكلها الشاة فتخرجها لبناً، ويأكلها الحمار فيخرجها فضلات.. فمن الذي نوّع الأشياء والأصل واحد؟!

اسمحوا لي أن أتحدث عن التنفير أيضاً بشكل بسيط جداً، حيث إنه موضوع متشعب فقد أصبح التنفير من الدين ظاهرة لم تُعطَ حقها من البحث والعلاج. حينما نضع حدوداً لمفهوم الدين عندنا، فإننا سنتفق على أن الدين هو الإسلام قال تعالى: {**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ**...} ثم بعد هذا الاتفاق سأطرح عليكم هذا السؤال: هل يستطيع أحد أن ينفّركم من دينكم أو لأقل هل يستطيع أحد أن ينفِّركم من الإسلام؟

إذا تكلمنا عن هذه الظاهرة، لا نقصد فقط التدين أو الالتزام، بل نقصد أيضاً الدخول في الإسلام والتنفير منه. وعندما نرى ما يدور في المجتمع أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي عن هذه الظاهرة، نجد أن هناك أخطاء وأخطاء كبيرة تقع من أناس يُحسبون على أهل الدين، ومن غيرهم أيضاً. إن التصرفات الخاطئة والأخلاق السيئة والتعجل في إصدار الأحكام ممن كان ظاهره الاستقامة قد تنفِّر المسلم من الدين، لأنه ينتظر من الصالحين صلاحاً ولا ينتظر منهم ظلماً أو جوراً. فكم هو محزن أن تجد الإنسان الذي اختار قدوته الرسول عليه الصلاة والسلام قد نسي وقلّ عزمه، ثم صار يُري المسلمين من نفسه ما يكرهه الله ورسوله. ولكن هذه الأخطاء تمثل في الحقيقة أشخاصهم واجتهاداتهم وتفكيرهم.

لو تمعّنا لوجدنا ديننا الحنيف سليماً من كل عيب ونقص، ولكن ينقصنا فقط التطبيق الصحيح كما جاء به النبي ﷺ، وكما كان عليه الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم جميعاً.. ولا بد أن نعرف أن هناك أسباباً للتنفير من ضمنها الجهل والحسد والحقد والكبر والغباء والعادات السيئة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: يَسّرُوا وَلاَ تُعَسّرُوا، وَبَشّرُوا، وَلاَ تُنَفّرُوا. وكما قيل: كن وسطاً، وامشِ جانباً، وأرضِ خالقاً، وارحم مخلوقاً، وأكمل فريضةً، وتزود بنافلةٍ تكن راشداً.

24
آمن بحب ثم عبّر

إن مشاعر الحب الرائعة والنابعة من القلب ليس لها أي قيمة إذا لم تُعبّر عنها لمن تحب، أو إذا عُبّر عنها بصورة خاطئة. لذا، عليك أخي القارئ معرفة أحسن الطرق والوسائل لتعبّر بها عن مشاعرك بصدق، فلقد قال رسول الله ﷺ: «إذا أحب أحدكم أخاه في الله فليبيِّن له فإنه خير في الإلفة وأبقى في المودة».

إن المشاعر التي لم يتم التعبير عنها، تعتبر عائقاً أمام النمو العاطفي. فمثلاً يعجز العديد من الناس عن نسيان تجاربهم المؤلمة في الحياة، فيكون من الصعب عليهم أن يتكيفوا مع التغيير. كما لا ينبغي أن نخلط بين الانفعالية والتعبير الواضح عن الانفعالات مثل قولنا: «أشعر بالألم». وعلينا ألا نترجم مشاعرنا إلى أحكام نصدرها على من نتعامل معه، بل يجب أن تعبر عن مشاعرك بصدق وبحدود الأدب. ليس عيباً أن تترجم ما تشعر به من حب إلى أفعال، فالحب ليس كلمات فقط بل هو أفعال ومواقف أيضاً.. فذكر الله المودة ما بين الزوجين في قوله تعالى: {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**}. كما ذكر في السيرة النبوية عن السيدة عائشة المعاني الحقيقية للحب والمودة ما بين الزوجين.

إن ما تحبه لنفسك ستحبه لغيرك إذا كنت مؤمناً. ومن هنا نذكر، وفي كل موضوع من مواضيع الحياة، ما قاله لنا حبيبنا ومعلمنا رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». رواه البخاري ومسلم.

لقد حرص الإسلام بتعاليمه وشرائعه على تنظيم علاقة الناس بربهم تبارك وتعالى، حتى ينالوا السعادة في الدنيا والآخرة، وفي الوقت ذاته شرّع لهم ما ينظم علاقتهم بعضهم ببعض حتى تسود الألفة والمحبة في المجتمع ولا يتحقق ذلك إلا إذا حرص كل فرد من أفراده على مصلحة غيره حرصه على مصلحته الشخصية، وبذلك ينشأ المجتمع الإسلامي قويّ الروابط، متين الأساس. ومن أجل هذا الهدف أرشد النبي ﷺ أمته إلى أن من أهم عوامل رسوخ الإيمان في القلب أن يحب الإنسان للآخرين حصول الخير الذي يحبه لنفسه، سواء من حلول النعم أو زوال النقم وبذلك يكمل الإيمان في القلب.

إنني أتحدث هنا عن الحب عموماً، وليس حب شخص معين. فقد يكون الحب لأب أو أم أو زوجة أو أطفال أو صديق. واعلم أن لك قلباً واحداً وهذا القلب قادر بإذن الله على إعطاء الحب لكل إنسان في حياتك.. إعطاء لكل ذي حق حقه.. نعم الحب حق مشروع لكل من يهمه أمرك.

ذات يوم أخبرني أحدهم أنه يحب إنسانة، وقد تقدم لخطبتها، ولكن طلبه رُفض لأسباب غير معروفة، وأبلغوه أن البنت مفوته لولد عمها. طبعاً، هذه تصريفة بطريقة دبلوماسية، فهو يعلم عن العائلة الشيء الكثير، فاتصل بي يستشيرني في هذا الموضوع فهو محتار ماذا يفعل؟ هل ينتظر وإلى متى؟ أم يذهب للبحث عن إنسانة أخرى تقبل الزواج به؟

قلت له: اسمعني جيداً، في حياتي أؤمن بأن الحب دعاء والدعاء يغير القدر، فأدعو الله وانتظر فترة من الزمن، ثم تقدم مرة أخرى، فإذا رفضت فأعلم أنها الخيرة والخيرة فيما اختاره الله لك، فابتسم وامضِ غير حزين إلى وجهة أخرى، واحذر أن تذهب لتظلم من قبلت بك على حساب من كنت تحبها، فليس لها ذنب سوى أنها قبلت العيش معك، بينما رفضت من كنت تحبها الزواج بك. فكّر بعقلك تجد أنك ظلمت مشاعرك ووجهتها في اتجاه واحد «إما هي وإلا فلا» وهذا خطأ كبير. فقال لي صدقت، أشكرك من كل قلبي فقط أعطيتني نصيحة تُكتب بماء الذهب.

بعد فترة من الزمن اتصل عليّ يدعوني لحفل زفافه وها هو الآن سعيد مع زوجته وأولاده. اسأل الله أن يسعده ويبارك له فيما أعطاه.

العبرة من هذه القصة هي أنه عبّر عما بداخله لصديق. ثم قلت له بطريقة غير مباشرة آمن ومن ثم امضِ نحو ما كتب الله لك، فالله سبحانه يختار لنا الخير دائماً. لقد علمتنا الحياة الكثير،

وكل يوم نعلم أكثر بأننا ظلمنا أنفسنا، سواء بطريقة أو بأخرى، إلا أننا نستفيد من أخطائنا لئلا يقع فيها غيرنا أو من يطلب استشارة منا. آمن بحب ثم عبّر وامضِ قدماً وإلى الخلف لا تنظر.

25
صديقي كتاب وطائر

«وخَيرُ جَليسٍ في الزَمانِ كِتابُ».. قالها المتنبي في إحدى قصائده. فعلاً خير جليس وصديق للإنسان هو الكتاب، ومتى شاء القارئ أن يبحر في علوم الآخرين في أي زمان أو مكان فالكتاب صديق لطيف في متناول اليد وتحت الطلب.

علمني ذاك الطائر مكسور الجناح من الحياة الكثير فقد وجدته في يوم أثناء فتح الشباك في غرفة نومي وهو لا يتحرك، وعندما رآني ونظرت إلى عينيه، علمت أنه استسلم لمصيره حيث أحسست به يقول: ماذا سيفعل بي؟ وهل سوف أطير ثانيةً؟

أخذته واهتممت به وعالجته إلى أن قوي، ثم أطعمته، وأخذته بيدي، وخرجت وقلت له: أنت الآن حر، فاذهب واعلم أن الله رحيم، ثم أطلقته. بدا كأنه يترنح قليلاً، ولكن بعد ذلك طار. وبعد فترة من الزمن، وجدت طائراً يقف على رف الشباك يميل برأسه يميناً ويساراً، وكأنه يستطلع من في البيت. فاقتربت لأفتح الشباك، وتفاجأت بأن الطائر ما زال واقفاً ينظر إليّ. ذهبت إلى المطبخ ظناً مني أنه عطشان، أحضرت قليلاً من الماء ولم أكن أملك طعام طيور. حين قدمته إليه، بدأ يشرب الماء، وعندما انتهى نظر إليّ نظرة عميقة وفهمت بعدها من هو هذا الطائر. فقد نسيت ما فعلت ليأتي إليّ أحياناً ويلقي التحية.

لا أخفيكم سراً أنني كنت أتكلم معه قليلاً، وكان يسمعني جيداً وهو ينظر إليّ. كنت أقول له: لقد علمتني أيها الطائر من دون أن تتكلم، علمتني أن الحياة رواية كبيرة ومتنوعة فيها العديد

من الأحداث السعيدة والحزينة، والمواقف التي تريد أن تعيشها مجدداً، ومواقف أخرى لا تريد تكرارها أو معايشتها.

كيف علمني هذا؟

هو من خلال طيرانه يعتبر الحياة صفحات يعبرها عبر سماء واسعة، إلى أن يصل إلى الصفحة الأخيرة في حياته. ثم يقفل كتابه وتنتهي الرواية التي عاشها في هذه الحياة بحلاوتها ومرارتها، لتبقى قصة تُروى لتوسع مدارك الفكري ومشاعرك التي ما زالت في شرايينك وأوردتك، تحكي تشكيلك الصحيح لنفسك.

كما أن الحياة رواية فالكتاب حياة، تعيش مع هذا لتفارق ذاك، تستفيد مما يُكتب في كل كتاب. ترى عقولاً تخاطب وأرواحاً تطالب؛ ما زلت أقرأ لأعيش فليس كل كتاب تستفيد منه، ولكن كل كتاب يشعرك بوجودك.

هناك عناوين وفصول وتنبيهات (ملاحظات) وآراء وأفكار متسائلة ومقترحات أجوبة متنوعة وعقليات، وبلا شك هناك مقدمة للكتاب ونهاية له.. وأنت وأنا وكل إنسان على هذه الأرض له كتاب تكتبه الملائكة. فكل ما تقوم به سوف يُكتب حتى نهاية حياتك، ويوم يبعث الله من في القبور سوف تسلم كتابك لترى ما كُتب فيه وما مصير مؤلفه!!

26
ليست جنة

الحياة ليست جنة، وعليك أن تتأقلم معها، وتعيش فيها. فلك بصمة سيبقى ذكرها حتى بعد رحيلك.

الحياة رحلة، أو كما قلت سابقاً رواية، ستجد بين صفحاتها جميع الفصول من ربيع وصيف وخريف وشتاء، أيضاً هناك نور وظلام. ومع هذا تعيش لأنه لا يوجد لك خيار في هذه الدنيا سوى التأقلم والرضا والسلام مع النفس قبل التحية.

نعم يا سيدتي ويا سيدي، هي ليست جنة. فكما تأقلمت في حياتك مع الحياة عليك أن تتأقلم في حياتك مع النفس والبشر.. نحن جميعاً وبدون استثناء لسنا أشقياء دائماً ولا سعداء، وما تمر به يمر به غيرك. فاليوم قد تكون حزيناً لسبب ما، وقد تكون في الغد أسعد الناس، وأيضاً لسبب ما. المهم أن تتأقلم وتتكيف مع الحياة ومع نفسك والناس. ولكن كيف؟ سأخبرك من خلال تجربتي البسيطة في الحياة.

أولاً: وقبل كل شيء يجب أن تؤمن بقدرة الله، وأن تستشعر هذا الأمر، فإن فعلت فقد قطعت نصف المسافة إلى راحة البال والسعادة. ولا تنسَ دائماً حديث رسول الله ﷺ في رواية حين قال: «اعلَمْ أنَّ ما أخطَأَكَ لم يَكُن لِيُصِيبَكَ وما أصابَكَ لم يَكُن ليُخطِئَكَ واعلَمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبرِ وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ وأنَّ معَ العُسْرِ يُسراً». بعد أن تؤمن وتستشعر هذا في داخلك سترتاح لأنك تعلم يقيناً الآن أن كل شيء في هذه الحياة بقدر.

ثانياً: عش حياتك بفكرك وشخصيتك وأسلوبك، بمعنى آخر بطريقتك لا بطريقة غيرك أو تقليدك لهم. حاول أن ترتقي فكرياً فهو السبب الرئيسي للتأقلم في أصعب الظروف.

ثالثاً: التنوع مطلوب كما في الحياة تتأمل بردها، وفي وقت معين حرها، ثم اعتدال أجوائها وهكذا.. اجعل حياتك متنوعة، فاخرج في يوم للنزهة مثلاً، وفي آخر اقرأ كتاباً، وفي ثالث شاهد فيلماً أو العب كرة، فالتنوع ممتع. ولا تنسَ السفر فله فوائد وكلنا يعلم ذلك، فمعظمنا سافر إلى مكان ما، ذهب يبحث ليعبّر أو ليفرغ شحناته السلبية ويعود وكأنه ولد من جديد.

رابعاً: الابتسامة تجعل منك إنساناً ولو كنت فارغاً. ابتسم واملأ كتابك بالصدقات فأنت مؤلِّفه؛ ابتسم لتسعد من حولك بابتسامتك، وكأني أراها الآن كنور يضيء قلبي؛ ابتسم لتقهر أوجاعك وآلامك برسالة مفادها أنني مؤمن وأتأقلم وأحب أن أعيش سعيداً.

خامساً: تسقط أوراق الشجر ثم تزهر بأجمل من ذي قبل.. أما أنت إذا سقطت لأي سبب كان فماذا ستفعل؟ هل ستعود أقوى وأجمل؟!.. أعتقد ذلك فأنت قادر أن تكون إنساناً عظيماً. إن الزمن بما يشتمل عليه من تقلبات يجعل الإنسان يقتنع بأن هذه الحياة ليست جنة؛ فالجنة هي ما نسعى إليه حيث لا موت فيها ولا برد ولا حر ولا ظلام.. فيها القلوب الصافية والحب الأبدي والطهارة النقية.. في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

لنفرض مثلاً أنك أُعطيت في الدنيا كل ما ترغب، هل تعتقد أنك ستكون سعيداً؟! لا أعتقد لأنك ستفنى وتتساوى مع الجميع. فكما قال الدكتور محمد راتب النابلسي أن الموت يُلغي غِنى الغَني، ويلغي فقر الفقير، ويُلغي قوة القوي وضعف الضعيف، يلغي صحَّة الصحيح ومرض المريض، يُلغي وسامة الوسيم ودمامة الدميم، كل شيءٍ يُلغى في الموت، يعود الإنسان كأي إنسانٍ خلقه الله عزّ وجلّ؛ العظماء، الكبراء، الأغنياء، الجبابرة، الملوك، الضعفاء، المَرضى، المقهورون، المستضعفون.. لذلك لا سعادة أبدية إلا في الجنة ونسأل الله أن نكون وإياكم ممن يدخلونها بغير حساب ولا سابق عذاب. وكما قيل: إذا أردت السعادة الأبدية.. فاجعل حياتك طريقك للجنة.

27

قتل الوقت أو تنظيمه

هل سألت نفسك ماذا يعني الوقت لك؟! كم من الوقت ضاع وكم ذهبت أيام من عمرك بلا فائدة ودون إنجاز يذكر. لا تقتل نفسك بإهمالك وعدم مبالاتك، فالوقت لن يتوقف وفي يوم ما سوف يعلن انتهاءك.

الوقت مهم جداً، وللأسف لم نتعلم ولم نعِ قيمته. قال لي والدي ذات يوم إن الصلوات الخمس هي المنظم الحقيقي لحياتي، فإن حافظت على الصلوات وأديتها في وقتها سوف تتغير حياتي للأفضل جذرياً. يا ولدي لا تضيع وقتك في النوم، بل استغل الوقت قدر الإمكان فهو ثمين، اعمل عملاً تفتخر فيه واصنع معروفاً ولا تنتظر رد الجميل.

لقد نبهني إلى نقطة مهمة ألا وهي الصلوات الخمس، وكيف أن الوقت عامل مهم في حياة الإنسان، جعلني هذا الأمر أتفكر في حكمة الله، فقلت في نفسي: سبحان الله، كل شيء خلق وعمل بحكمة بالغة.

كلنا ندرك أن الوقت يمضي سريعاً ولكننا لا نشعر به. فإما أن تتعلم كيف تدير وقتك وحياتك وإما أن تكون حياتك أشبه بسفينة تتقاذفها الأمواج. لا تدري أين تذهب وكيف تتجه ولأي هدف تسير.

تشبه الحياة رحلة قصيرة في سفينة تحيط بك الأخطار من كل جانب، وفي أي لحظة يمكن أن تلقى مصيرك. فإذا كانت خطتك مرسومة بشكل متقن فستصل إلى الشاطئ بأمان. يؤكّد علماء النفس أنّ أي عمل تريد تنفيذه ينبغي قبل كل شيء أن تدرك فوائده، ليكون العمل فعالاً ويعطي النتائج المطلوبة. وعندما تتأمل كتاب الله تعالى تجد أن الله عزّ وجلّ يرغّبنا في الجنة، وعندما يأمرنا بعمل ما يتبعه بالفوائد التي سنجنيها من هذا العمل، وعندما ينهانا عن عمل ما فإنه يوضح لنا سلبيات هذا العمل وأضراره.. لقد قال رسول الله ﷺ: خيركم من طال عمره – وفيه إشارة إلى طول الوقت – وحسن عمله.

هناك من لا يشعر بقيمة الوقت بحيث يستهلكه استهلاكاً رخيصاً. يؤجل، يتكاسل، يعجز، ومن يتصف بهذه الصفة يعد غير مؤمن حيث دعاء الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام حين قال: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل». لاحظ هنا العجز والكسل.. يمضي الوقت بلا فائدة، بلا جدوى، في كلام فارغ، في مزاح رخيص، في مناقشات عقيمة، في عمل لا يرضي الله، في عمل لا يعود عليه بالخير لا في دنياه ولا في أخراه. وهذا الدعاء فيه إشارة دقيقة إلى قيمة الوقت. قال تعالى: {... **وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ**}... المنافقون هم من يبدّدون الوقت ويستهلكونه ويضيعونه ولا يعرفون قيمته، حيث وصفهم الله بالآية الكريمة من سورة النور.. قال تعالى: {**يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ**}. وهي آية تشير إلى قيمة الوقت. وإذا عرفت قيمة الوقت أدركت خطورته وبدأت فعلياً بتنظيمه، فالوقت الذي تكسب فيه رزقك لا يجب أن يطغى على الوقت الذي تؤدي فيه واجب أهلك، أو الوقت الذي تقضي فيه حوائجك. لا يسمح لك الشرع الحنيف أن تنمي جهة على حساب جهة.

فقط قم بالتجربة وَذَكِّرْ من حولك بها، وسوف تشعر حتماً بالفرق وتقول لنفسك كيف كانت حياتي بلا تنظيم سابقاً. لقد سألني أحدهم ذات يوم لماذا تنام باكراً في كل يوم كالدجاجة؟ فتبسمت وقلت له بكل بساطة: لأنها راحتي؛ أرتاح إذا نمت باكراً وقمت باكراً نشيطاً.. أما اذا حصل وسهرت ثم استيقظت متأخراً فإن مزاجي في هذا اليوم يكون سيئاً جداً ولذلك أحب أن أكون على الفطرة أنام باكراً وأصحو باكراً وأنا مبتسم، وليس عابس الوجه كسولاً.

نظم وقتك بطريقة الصلوات الخمس، بحيث أنك لو داومت على أن تصليها في وقتها ستجد أن وقتك ينتظم تلقائياً، هكذا بكل بساطة. لا تحتاج إلى كتاب عن تنظيم الوقت أو محاضرات، فالحياة أبسط مما تتخيل. فقط تنفس بعمق وتفكر في ما حولك وتقيّد بما قاله الله عزّ وجلّ ورسوله الكريم لك لتعيش حياة سعيدة بسيطة ورائعة.

28
هي حياتي!

حياتك هي وطنك، وما تقدمه لحياتك تقدمه لوطنك، فإن ارتقيت بحياتك بنفسك ارتقيت بوطنك. هناك من يملك العزيمة والإصرار للتغيير ليستقيم وتستقيم حياته، وهناك من ينتظر شخصاً ما ينتشله من القاع الذي وقع فيه أو سوف يقع. حياتك وُهبت لك كي تخلق لها معناها. قال تعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}**؛ وإن لم تسر حياتك على النحو الذي ترغبه فلا تلومنّ إلا نفسك. قال تعالى: **{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ...}**؛ فلا أحد مدين لك بأي شيء.. أنت كإنسان تريد أن تحيا حياة هانئة ويتحتّم عليك أن تجتاز كثيراً من العوائق.. أختي.. أخي القارئ: لا تشيخُ روح مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، ولا تتعب نفس تبني جدرانها على ذكر الله.

في حياتك عليك دائماً أن تكون أنت فعلاً لا رد فعل، فهذه قمة السعادة. كيف؟! لا تجعل الآخرين يتحكمون في أخلاقك، بمعنى يتجاهلونك، ثم يسخرون منك، ثم يقاتلونك، حيث ستكون النتيجة بفوزك أنت؛ قال تعالى: {... **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**}؛ لا تجعل الآخرين يتحكمون فيك وكن متفائلاً. ابقَ بعيداً عن الناس الذين يحاولون أن يستهينوا بطموحاتك فالصغار يفعلون ذلك دائماً، لكنّ العظام يجعلونك تشعر أنه يمكن أن تصبح عظيماً، فاختر مَن تخالط.

الغِ الاعتقاد السخيف أن هنالك من سيدخل حياتك كي يحدث لك كل التغييرات اللازمة، لا تعتمد على أي شخص قد يأتي لينقذك، ويمنحك الدفعة الكبرى لكي تنطلق، ويهزم أعداءك، ويناصرك، ويمنحك الدعم اللازم، ويدرك قيمتك ويفتح لك أبواب الحياة. أنت الوحيد الذي يمكنه أن

يلعب دور المنقذ الذي سوف يحرر حياتك من قيودها، وإلا فستظل في حياتك مقيد بأغلالها.. ثق بربك ومن ثم بنفسك، وأعلم إن السعادة منك ولا تأتي من خلف الحدود.

قال لي أحد الأصدقاء ذات يوم إنه يرغب بإزالة لوحة المنزل التي كُتب عليها منزل فلان بن فلان ويستبدلها بعبارة هذه حياتي؛ تبسمت وعلمت أن السبب هو تدخلات الأقرباء أو الأصدقاء في حياته وكأن لهم الحق في ذلك. تلك التدخلات التي أصبح يراها عجيبة وشرسة في بعض الأحيان.

هناك من يتدخلون بدراستك وماذا عليك أن تدرس؟!! بمن ستتزوج وماهي مشاكلك، ويطرحون عليك الحلول ويعملون على دفعها باتجاهك كما لو أنها لقمة لا تريد ابتلاعها.

نعم هي حياتي ولي فيها عمر محدّد لا يعلمه إلا الله.. لي فيها فكر وشخصية وكيان قد لا تحبها ولكني أعشقها؛ في حياتي تشكيل وتغيير، ولا أدّعي الكمال، فالكمال لله، ولكني أدعو الله قائلاً يا مقلّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك.

حياتك ملكك ومن الطبيعي ألا تسمح لأحد بالتدخل فيها، ولكن اعلم أن حياتك تعتمد على طريقة تفكيرك وشخصيتك. يقول بعض علماء التربية: (أفكارك تصنع حياتك). لذا، عش حياتك مستمتعاً بكل لحظة فيها.

وفي تحقيق استقلاليتك عن الآخرين قال تعالى: **{وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى}**، وسماحك للآخرين أن يستمتعوا بحرياتهم **{لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ}**؛ أن تبحث عن الأفضل في نفسك وفي العالم من حولك قال تعالى: **{وَقُلِ اعْمَلُوا...}** و**{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ}** أن تعيش أعلى درجات الحبّ، فحينما ينظر المحبُّ إلى المحبوب في داخله يراه جوهره.

قيل إن مشكلة المجتمع العربي أنه غيّب عن ذهنه أموراً مهمة في الوقت المعاصر كالمعرفة العميقة، والروح الدقيقة، والتخطيط الواعي، والتنظيم الصحيح، والإرادة الفاعلة.

من المفترض أن حياتك قد خلقت كي تكون لك. قال تعالى: **{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ}** فهي حياتك. لذا، أنت في حاجة لجعل الآخرين يقدرونك حق قدرك. تجنب المناورات والمجادلات التي لا هدف لها.. أنت في حاجة لأن تتفوه بالحقيقة وتصحح أكاذيبك.

هي حياتك، لذا أنت في حاجة إلى التوقف عن تمثيل دور الضحية حتى يمكنك الاستمتاع بنجاحك دون شعور بالذنب.

هي حياتك، لذا أنت بحاجة إلى أن تكون ذاتك لا أن تتظاهر بما ليس فيك.

هي حياتك، لذا أنت بحاجة لأن تتحرر من توقعاتك الناتجة عن معتقداتك، عما يجب أن تكون عليه الحياة حتى لا تحكم على الآخرين على غير أساس من الواقع بأن لديهم قصوراً أو أنانية.

هي حياتك، لذا أنت بحاجة لأن تكف عن الحياة داخل ذكريات الماضي.

هي حياتك، لذا أنت بحاجة لأن تتعلم الصفح وغض الطرف كي تواصل مشوار الحياة.

هي حياتك، لذا أنت بحاجة لأن تكون مستمعاً جيداً حتى تستخلص أفضل ما لدى الآخرين من خبرة.

هي حياتك، لذا أنت بحاجة لأن تأخذ نفسك على محمل الجد، ولكن ليس لدرجة أن تلزم نفسك أن تكون كاملاً طوال الوقت أو ألا تستطيع التعرف على أخطائك وجوانب ضعفك.

هي حياتك، لذا أنت بحاجة لأن تدرك أنك في حالة نمو متواصل. ولزام عليك دائماً إدراك الحلول الوسط التي تعوق تقدمك في الحياة، وكذلك العلاقات التي تشعر أنك تقدم فيها الكثير من التنازلات.

هي حياتك، لذا أنت بحاجة لهدف يوجّه حياتك.

هي حياتك، لذا أنت بحاجة لأن تعمل لتحقيق هذا الهدف وأن تخلق الحياة التي تريدها، لا أن تحيا على أمل الحرية الأجوف.

هي حياتك، عشها بسعادة وبأفضل طريقة ممكنة.

تم بحمد الله

منذ زمن اتخذت قراراً بكتابة كتاب يحمل عنوان (وَذَكِّرْ)، وذلك لشعوري بواجب مساهمتي في الحياة بكتاب يضيف إلى القارئ، أو على الأقل يذكّره ببعض واجباته، وأنه يملك عقلاً ليستخدمه وليتحلّى بأخلاق قدوته رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم.